# تجسد الكلمة

## القديس اثناسيوس الرسولى



احتماع الخدام
شهر نوفمبر ٨٢

# تجسد الكلمة

للقديس أثناسيوس الرسولى

نقله الى العربية

القس مرقس داود

طبعة خامسة

صدر عن دار التاليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة
(S.P.C.K.)
٣٦ شارع الجلاء ـ بولاق ـ القاهرة
تليفون ٩٧١٦٥٥

ايداع رقم ٥١٩٨/٧٨ دولى رقم ٣ — ١٠ — ٩٧٧/٧٢٢٠

دار الجيل للطباعة ٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
جمهورية مصر العربية تليفون : ٩٠٥٢٩٦

# مقدمة الكتاب

برز فى الكنيسة القبطية ، فى العصور الأولى خاصة ، بعض الأبطال الذين كانوا نورا وبركة لأجيالهم والأجيال اللاحقة ..

تجلت فى هؤلاء الأبطال بعض الصفات البارزة ، كالايمان الذى لا يقهر ، والصراحة فى القول ، والنضال والدفاع عن الحق ، والمقاومة حتى الدم ، وهذه ما اشتهر بها أثناسيوس الذى كرس كل جهوده وحكمته وأوقف كل حياته للدفاع عن الحق دفاعا مجيدا لا يدانيه فيه أى عظيم ، حتى خلعت عليه الكنيسة بحق لقب « الرسولى » ، ويكفى أن نذكر فى هذا الصدد أنه لما تألبت عليه كل القوات ، ووقف وحده فى جهاده ، قيل له : « أما تبالى بأن العالم كله قد صار ضدك » ، فقال قولته المأثورة : « وأنا صرت ضد كل العالم » .

ولد « أثناسيوس » عام ٢٩٧م من والدين شريفين ، وعرفه الاسكندر بطريرك الاسكندرية اذ كان لا يزال صبيا صغيرا . ولما توسم فيه علامات الذكاء والنبوغ قربه اليه وعنى بتهذيبه ، ثم عينه شماسا فرئيس شمامسة فسكرتيرا

كاتما لأسراره • وقبل وفاة البطريرك عام ٣٢٦م أوصى بأن لا يخلفه سوى « أثناسيوس » فقبلت الكنيسة مشورته •

تبارى الكتاب فى وضع المؤلفات الممتعة عن حياة هذا البطل العظيم ، حتى أنها لتحصى فى الغرب بالمئات • أما ما كتب عنه باللغة العربية فانه دون أصابع اليد الواحدة • وأما مؤلفاته فلم يظهر شيء منها باللغة العربية •

حصلت على سجل ضخم ( بالانكليزية ) حوى وصفا ممتعا لسيرة هذا القديس ، كما تضمن مؤلفاته ورسائله وتبلغ ثلاثا وثمانين • فعربت منها هذه الرسالة • ولا يحسبن القارىء حين قراءتها أنه سيجد فيها موضوعا سلس القراءة وسهل الفهم • فانها تبحث فى موضوع لاهوتى عميق يحتاج الى دقة التأمل والى دراسة مستفيضة • وحسبنا أن نقدم الى القراء هذه الرسالة كعينة للمؤلفات الدقيقة والأبحاث القيمة التى وضعها الآباء الأولون ، والتى تدل على مقدار ما وصلوا اليه من قوة الحجة وبلاغة المنطق •

ولعل هذه الرسالة ـ كما شهدت الترجمة الانكليزية التى نقلناها عنا ـ من ألزم مايحتاج اليه العصر الحاضر الذى كثر فيه المتشككون ، وتعددت الشكوك حول تجسد المسيح ، ومايتصل بالتجسد من حقائق لاهوتية •

فالى القدير نرفع ابتهالاتنا بأن تكون لها النتيجة المرغوبة نحـو ازالة هذه الشـكوك ، واعادة المتشككين الى بسـاطة الايمان •

وفى نشر هذا الكتاب لا يسعنى الا أن أقدم خالص شكرى للسيد الأستاذ نجيب ميخائيل سـاعاتى المقدسى ، أحد علماء الكنيسة اليونانيـة الأرثوذكسية بالاسـكندرية ، الذى راجع الترجمة العربية على الأصل اليونانى حتى لا يتأثر المعنى بسبب تعدد الترجمات ، ثم أقدم عظيم تقـديرى لدار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية التى تكرمت بنشره أربع مرات منذ سنوات ، ثم أعادت نشره الآن فى طبعته الخامسة ••

**القس مرقس داود**

## مقدمة الترجمة الانكليزية

لا بد أن تكون « الرسالة ضد الوثنيين » ( التى كتبها القديس أثناسيوس ) قد بعثت فى القراء شعورا بضرورة تجديد الحياة بواسطة كلمة الله كعلاج لفساد الطبيعة البشرية ، وسنرى فى الصفحات التالية كيف تحققت هذه الضرورة فى التجسد •

أما الغرض العام من هذه الرسالة الثانية ( تجسد الكلمة ) فهو ايضاح وتأكيد عقيدة التجسد ، وذلك باظهار الأمور الآتية :

١ ـــ ضرورتها وغايتها •

٢ ـــ تناسق تفصيلاتها •

٣ ـــ حقيقتها رغم اعتراضات اليهود والوثنيين •

٤ ـــ نتائجها •

وتبدأ هذه الرسالة بمراجعة عامة لعقيدة الخليقة ، ومركز الانسان فيها ( وفى ذلك يلخص ما سبق أن كتبه فى الرسالة ضد الوثنيين فصل ٢ ـــ ٧ ) فلقد أدت اساءة استعمال الانسان لامتيازه الخاص الى فقد ذلك الامتياز ، واذ تغاضى عن الحياة الالهية دخل فى دور الفناء والهلاك اللذين لا يستطيع أن يخلصه منهما سوى واهب الحياة الأصلى ( فصل ٢ ـــ ٧ ) •

بعد ذلك نرى وصفا بليغا جدا عن تجسد كلمة الله ، وتأثير ذلك التجسد ضد وباء الفساد ( فصل ٨ — ١٠ ) .

لقد نال البشر أيضا مع الحياة الالهية موهبة العقل فى أسمى درجاته ، مشابهين بها الطبيعة الالهية ، وذلك بقصد معرفة الله . على أنهم بسقوطهم أفسدوا هذه المعرفة وعكسوا القصد منها . واذ أغفلوا حتى الوسائط التى أراد الله بها أن يذكرهم بنفسه ، توغلوا أكثر فأكثر فى السقوط فى مذهب ( الماديين ) وما اليه من الخزعبلات . فلاعادة الصورة التى شوهت لم يكن هنالك بد من ايجاد الأصل ، اذ أن الانسان خلق على صورة الله . ولذلك تنازل الله بأن يتمشى مع ادراك الانسان المحدود الاحساس ، والكلمة أخذ جسدا ، وصار فى متناول احساس البشر ، حتى يعلن غيرالمنظور بواسطة المنظور (فصل ١١ — ١٦)

وبعد أن أوضح معنى التجسد وغايته (فصل ١٧ — ١٩) تقدم ليتحدث عن موت ابن الله المتجسد وقيامته من الأموات . فان الذى يستطيع وحده أن يجدد صنعته ، ويعيد الصورة التى منحها للبشر ، ويبعث من جديد معرفة الله التى وهبها لهم ، ينبغى لكى يوفى الدين ، الذى جلبه الجميع على أنفسهم ، أن يموت عوضا عنا ، مقدما الذبيحة عن الجميع ، ولكى يقوم ثانية من ظلمة القبر كباكورة لنا ( فصل ٢٠ — ٣٢ . أنظر خاصة فصل ٢٠ ) . وبعد أن تحدث عن الصليب ، الذى كان علامة

للعار ، وأما الآن فهو علامة النصر كأنسب وسيلة ، وبعد أن ذلل بعض الصعوبات الخاصة بكيفية موت الرب ، انتقل الى التحدث عن القيامة . فهو يرينا كيف كيف أن المسيح بانتصاره على القبر ابدل سلطان الموت وعلاقته بالحياة ( فصل ٢٧ ) ، وكيف أن القيامة بنتائجها الخطيرة والعظيمة الأهمية كان لا بد أن تعقب تجسد ذاك الذى كانت فيه الحياة ( فصل ٣١ ) .

بعد ذلك نرى أثناسيوس يحارب بدعتى الالحاد الرئيسيتين اللتين كانتا منتشرتين فى عصره . كانت علة عدم الايمان فى كلتا البدعتين من الوجهة الأدبية . فالعلة مع اليونانيين كانت فطاظتهم وشراستهم ، ومع اليهود عنادهم الذى تأصل فيهم . وهنا نرى « أثناسيوس » يحاج اليهود ( فصل ٣٣ — ٤٠ ) أولا من كتابهم المقدس نفسه الذى تنبأ عن مجىء المسيح تفصيلا واجمالا . ثم بين أيضا أن النظام اليهودى القديم — سواء من الجهة الدينية أو المدنية — قد زال وعبر ، مفسحا المجال لكنيسة المسيح .

من ثم وجه الحديث الى اليونانيين ( فصل ٤١ — ٤٥ ) ، مسلما بأنهم يعتقدون بوجود روح يسود العالم ، ضابط لكل شىء ، وحثهم على أن يرفضوا بلا تردد تلك العقيدة التى يدينون بها ، وهى اتحاد هذا الروح ( أى الكلمة ) بأحد عناصر الكون ( راجع أغسطينوس ٧ : ٩ ) ، ولما كان الانسان وحده ( فصل ٤٣ : ٣ ) دون سائر المخلوقات ، هو الذى خرج عن

نظام خلقتــه ، فكان لابد من أن يأخذ الكلمة طبيعة الانســان ويتحد بها ، ولكى يسد الثغرة التى فتحت بين المخلوق والخالق فى نفس الجهة التى حدثت فيها •

لم يشأ الله أن يجــدد الانسان بمجرد نطق ملكى كريم ( فصل ٤٤ ) ، لأنه كما أن التوبة من جانب الانسان لم تستطع أن تســتأصل شأفة مرضه ( فصل ٧ ) ، كذلك كان يســتلزم النطق الملكى الكريم من جانب الله أن يلاشى الطبيعة البشرية ، ويخلق جنســا جديدا • لذلك أتى الله بعلاج لمرض الانسان اذ غلب الموت بالحياة • وبذلك استطاع الانسان مرة أخرى أن يعلن ـ مع سائر المخلوقات ـ صنعة يد خالقه ومجده •

من ثم واجه «أثناسيوس» اليونانيين ببعض الحقائق ، كما فعل مع اليهود • فمنذ مجى المسيح بدأت العبادة الوثنية ـ العامة والفلسفية ـ تضمحل وتتلاشى • ثم بين أوجه الخلاف بين ضــعف المعــلمين الفلاســفة ومنازعاتهم ، وأخلاقهم غير المتجانســة ، وفساد تعاليم العبادات القــديمة من جهة ، وبين وحدة قوة ديانة المصلوب من الجهة الأخــرى • وهكذا أبرز للناس هذه التعاليم الحية وتلك المائتة • ولم يبق لهم الا أن يروا ويذوقوا لذة هذه الحياة التى يهبها المسيح للذين يتبعونه ( فصل ٤٦ الى النهاية ) •

٭ ٭ ٭

ان القصد من هذه الرسالة ( وكذا الرسالة الى الوثنيين ) هو التمهيد لديانة المسيح لتكون أكثر قبولا . ويكاد يكون البحث فيها مقتصرا على التجسد كحقيقة جوهرية ، وعلى مركز التجسد بالنسبة لسياسة الله نحو الانسان ، أكثر مما تبحث فيه كعقيدة لاهوتية .

ولم يشأ «أثناسيوس» أن يعالج ( فى هذه الرسالة ) تلك المسألة التى كثر الجدل واللغط حولها فى الاسكندرية فى القرن السابق ، ألا وهى بنوية « الكلمة » وعلاقته بالله الآب .

كذلك لم يشأ أن يمس المشكلات الخاصة بلاهوت المسيح التى قامت على أثر سكون العاصفة الأريوسية ، والتى كانت تقترن بأسماء أبوليناريوس ، وتيودور ، وكيرلس ، ونسطور ، وأوطاخى ، وتيودوريت ، وديوسقورس . ولكننا نراه يمسك بناصية تلك الحقائق الخلاصية ، الأمر الذى أبرزه كأنه هو الشخص المعين للقضاء على البدعة الأريوسية ، والذى مكنه من أن يرى ، عن بعد ، وعن غير قصد ، تلك المشكلات اللاهوتية التى أتعبت الكنيسة طوال القرن التالى ، لوفاته .

ومما يجعل للموضوع أهمية لدى قراء العصر الحاضر ، هو كيفية معالجته اياه بعقله الراجح من كل وجوهه ، أى فيما يتعلق بالله وبالطبيعة وبالخطية .

ومما يلذ لنا معرفته أن البراهين التى يقدمها «أثناسيوس» ليست تعسفية أو استبدادية كتعاليم العصور الحديثة والمتوسطة عن الفـداء ، فان تعاليم الكنيسة الأولى فسرت سرى التقوى بعبارات ، ان جاز لنا القول انها دون قوة وبلاغة تعاليم «بولس الرسـول» ، فانهـا على أى حال خالية من روح التعسـف والتحكم • ثم هى تصور لنا الطبيعة البشرية تصويرا حقيقيا ، كما تقدم لنا أسمى التعاليم والأفكار عن الله ، ولعل هذه الرسالة أشد لزوما وأعظم تقديرا فى عصرنا الحاضر ، منها فى أى عصر سبق ، منذ حياة كاتبها الى الآن •

من أجل ذلك قد يكون من الواجب أن تكتب كلمـة أو اثنتان عما امتازت به هذه الرسالة فى مرماها وأسلوبها • وأول ما نلاحظه هو كيـف أن الكاتب عصر كل قواه ومواهبـه فى موضوع بحثه ، لذلك لم يكن هينا أن نسـتنتج شـيئا من اغضائه الطرف عن أمور قد يرى القارىء أنها كانت تحتاج الى شرح أثناء بحثه ، اذ أنه لم يخط حـرفا واحدا عن التثليث أو الروح القدس • وهذا راجع الى غرض الرسالة تبعا للقـاعدة العامة ، وهى انه ما دامت الكنيسة تبشر العالم بالمسيح ، فان وظيفة الروح القدس وشخصيته يتعلقان بحياتها الداخلية •

أما الأمر الثانى الذى نلاحظه ، فهو بحث هذه الرسالة فى تركيب الانسـان • ويظهر أن « أثناسيوس » ينسب نفس الانسان العـاقلة وخلوده بعد الموت ( فصل ٣ مع ١١ : ٢ ـ

وفصـــل ١٣ : ٢ ) ليس الى تركيب الطبيعة البشرية ، بل الى النعمة التى أولاه اياها الخـــالق ، النعمة التى كونت الانســـان بفضـــل قوة الكلمة ، والتى لو لم يكن الانســـان قد خسرها بخطيته ، لوهبته امتياز الخلود . لذلك لنتأمل مليا ، ولنبحث بالتدقيق ، عما اذا كان « أثناسيوس » قد عنى أو قصد أن يقرر أن الانسان بطبيعته وبدون اتحـــاده بالله ( ١ ) عاقل أو ( ٢ ) خالد . فان دققنا البحث فى الرسالة لتى نحن بصـــددها امكننا أن نجد بعض الأدلة للاجابة عن هذين السؤالين بالنفى .

على أننا اذا رجعنا الى ما كتبه « أثناسيوس » فى الفصلين ٣٢ و ٣٣ من رسالته ضد الوثنيين ، اتضح أنه يقرر ان النفس عاقلة وخالدة . لهذا كان واجبا أن نجد تفسيرا لما كتبه عن هذا الموضوع فى هذه الرسالة التى نحن بصددها .

أما فيما يتعلق بالخلود فيجب أن نلاحظ :

١ ــ أن اللهجة التى استعملها فى فصـــل ٤ : ٥ تفرض وجود حالة مستمرة ، أو بمعنى أوضح حالة بعيدة عن الفناء .

٢ ــ أن صورة الله لا تمحى مطلقا حتى من أشر البشر ، ولكنها تشوه فيهم ( فصل ١٤ ، ١ الخ ) وحتى اذ فقدت النعمة ( فصل ٧ ، ٤ ) فالانســـان لا يمكن أن يصل الى الحالة التى يصبح فيها كأنه لم تكن له علاقة بالله مطلقا .

٣ ــ ان « أثناسيوس » فى هذه الرســالة كما فعــل « بولس » فى ١ كور ص ١٥ ــ لم يشر الى المصــير النهــائى للأشرار سوى اشارة عابرة فى فصل ٥٦ : ٣ ٠

٤ ــ يضاف الى هذا أن « أثناســيوس » جمع معا كل ما يفصل الانسان عن المخلوقات غير العاقلة ٠

ومما يلاحظ أيضا أن « أثناسيوس » لم يبحث بالتفصيل موضوع الدينونة العامة مع أنه واضح جدا ( أنظر الرسالة ضد الوثنيين فصل ٣٣ ) انه لم يشترك فى آراء بعض الكتاب السابقين الخاصة بعقيدة الخلود المقترن بشرط ، كما لا يوجد أى دليــل على أنه كان يدين بعقيدة الخلاص الشامل[1] ، التى نادى بها بعض علماء القرون الأولى ٠

أما عن رأيه فيما يختص بأن الانسان عاقل ( الرسالة ضد الوثنيين ٣٢ ) فيتضح مما ورد بالفقرة السابقة ( ٤ ) أنه يقرر أن الانسان لو ترك الى نفسه لعجز عن أن يدرك شيئا عن الله بتاتا ( فصل ١١ : ١ ) ، الأمر الذى يســد فمه عن الادعاء بأنه عاقل ٠ أما هذا التناقض الظاهرى فيزول اذا علمنا أنه فى مقدور الانســان أن يكون عاقلا ( كما هو الحال مع جميع البشر ) ، ومع ذلك فهو غير عاقل من ناحية استعمال العقل ( كما هو الحال

---

(١) وهى التى تعلم بخلاص كل البشرية حتى الملائكة الذين سقطوا ٠

مع الكثيرين[1] ) وبعبارة أخرى أن النعمة لا تعطى موهبة العقل نفسها ، بل تنيرها وتكملها .

وهنالك تحذير ضرورى آخر فيما يختص بالمشابهة التى يقدمها « أثناسيوس » ( فصل ٤١ الخ ) . بين التجسد واتحاد الكلمة بالكون . أن الرسالة نفسها تقدم لنا الرأى السليم فى هذا الموضوع ( فصل ١٧ : ١ ، وانظر أيضا الملاحظات عن الفصل ٤١ ) ولعله من المناسب هنا أن نذكر أن الاختلاف الحقيقى بين «أثناسيوس» وبين الفلسفة الأفلاطونية الحديثة[2] لم يكن فى اتحاد الكلمة بأية مادة مخلوقة ــ الأمر الذى كان ينادى به أولئك الفلاسفة ــ بقدر ما كان اتحاد الكلمة بصفة استثنائية بالانسان باعتباره متميزا عن سائر المخلوقات . ويرجع هذا الاختلاف الى عقيدة الخليقة ، التى كانت هوة سحيقة بين المسيحية والآراء الأفلاطونية عن الكون . أما علاقة الآراء الأفلاطونية بالكلمة ، فقد شرحها «أثناسيوس» شرحا مستفيضا فى الجزء الثالث من رسالته ضد الوثنيين . هذا التعليم يجب أن

---

(١) أى انه فى مقدور جميع البشر أن يكونوا عقلاء ، لكن الواقع انهم عند استعمال قوتهم العاقلة يخرج الكثيرون منهم عن دائرة العقل .

(٢) فلسفة حديثة مزجت بين فلسفة أفلاطون والآراء الشرقية ، ظهرت فى القرن الثالث حيث بدأ بها أمونيوس سكاس فى الاسكندرية ونشرها بلوتنيوس برووفيرى وبروكلوس الخ .

يكون ماثلا أمام من يقرأ الفصل الحادى والأربعين والفصول التالية من الرسالة التى نحن بصددها ( تجسد الكلمة ) •

وأخيرا أن العلاقة المباشرة بين عقيدة الخليقة وعقيدة الفداء ، تبين لنا الفرق بين عقيدة الخلاص فى هذه الرسالة وبينها فى العصور الوسطى • فأثناسيوس لم يغفل فكرة وفاء الدين • كذلك هو يعتقد أن الصليب كان غرضه الأسمى من مجيئه ( فصل ٢٠ : ٢ مع ٩ : ١ و ٢ الخ ) أما فكرة تجديد الطبيعة البشرية ، فكانت فى اعتقاده أهم ضرورات التجسد ، اذ أن الله لم يشأ أن يمسح اثمنا بمجرد كلمة يقولها (فصل ٤٤) ، لأن الطبيعة البشرية كانت تحتاج الى برء ، وتجديد ، وخلقة جديدة • كانت فكرة تجديد الانسان فى مقدمة الآراء الثلاثة ( فصل ٧ : ٥ ) التى يلخص فيها وصفه للمعضلة التى تستحق دفاعه عنها •

***

وهذه الترجمة ( الانكليزية ) لرسالة أثناسيوس عن تجسد الكلمة ، هى التى طبعت عام ١٨٨٥ وأعيد طبعها عام ١٨٩١ • وكان القصد الأول من ترجمتها أن تلقى بشكل محاضرات فى جامعة أكسفورد ( ١٧٨٩ ــ ١٨٢٢ ) • وأما مقدمة كل فصل ــ وهى تتضمن تلخيصا له ــ فقد أضيفت لغرض استعمالها أيضا فى تلك المحاضرات •

# الفصل الأول

مقدمة هذه الرسالة : اتضاع وتجسد «الكلمة» . افتراض عقيدة الخليقة ، وذلك بواسطة «الكلمة» لقد خلص الآب العالم بذاك الذى به خلقه أولا .

١ ـ اذا اقتصرنا فى بحثنا السابق على القليل من الأقوال الكثيرة مما يكفى لبيان ضلالة الأمم[1] ، بصدد الأوثان ، وعبادة الأوثان ، وكيفية اختراعها فى بداية الأمر ، وكيف كانت شرور البشر هى الباعث على تفكيرهم فى عبادة الأوثان ، وبعد أن عرفنا بنعمة الله أيضا شيئا عن لاهوت كلمة الآب وعنايته الشاملة وسلطانه ، وكيف أن الآب الصالح ينظم كل الأشياء بالكلمة ، وأن به تتحرك كل الكائنات وبه تحيا ـ تعال الآن أيها العزيز مكاريوس[2] ، يا خليقا بهذا الاسم ، ويا محبا

---

(١) أى الوثنيين .

(٢) انظر الرسالة ضد الوثنيين فصل ١ . قد يكون هذا الاسم مستعملا هنا رمزيا فقط ، كما ورد فى بعض الترجمات التى جاء بها عوضا عن ذلك : « أيها المغبوط والمحب للمسيح بالحقيقة » . ولكن وروده فى كلتا الرسالتين يدل على أن المقصود به شخص معين ، ويغلب على الظن أن يكون المقصود به شخصا مسيحيا له دراية بالكتاب المقدس .

للمسـيح بالحق ، ولنتتبع ايماننا المسـيحى[1] ، ولنظهر كل ما يتعلق بتأنس « الكلمة » وظهوره الالهى بيننا ، الأمر الذى يسخر منه اليهود ، ويهزأ به اليونانيـون ، وأما نحن فنعظمه ونبجله ، وذلك حتى تزداد وتتضاعف تقواك نحو « الكلمة » على قدر ضعف مظهره •

٢ ــ فانه كلما ازداد استهزاء غير المؤمنين « بالكلمة » ، ازدادت الشهادة التى يعطيها عن لاهوته • لأن ما يعتقده البشر مستحيلا يثبته الله ممكنا وسهلا ، وليس ذلك وحسب ، بل ان ما يسـخرون منه ويعتقدونه غير لائق ، يلبسه بصـلاحه ثوب اللياقة والجمال ، وما يهزأون به بغرورهم وادعائهم الحكمة ، ويتوهمونه بشريا ، يظهره هو بسـلطانه الهيا ، وفى ذلك كله تتغلب على الادعاءات والافتراءات الوثنيـة بما يظنه العـالم ضعفا ، أى بصليبه ، ويقنع بطريقـة خفية أولئك الهازئين وغير المؤمنين ، ليدركوا لاهوته وسلطانه •

٣ ــ ولعلاج هذا الموضوع ، أراه لزاما على أن ألخص ما سبق أن قررته[2] حتى لا تفوتك معرفة سـبب ظهور كلمة الآب الجليل القـدر فى الجسـد ، وحتى لا تتوهم أنه كان من مستلزمات طبيعة مخلصنا أن يلبس جسدا ، بل لكونه خاليا من

---

(١) انظر ١ تيموثاوس ٣ : ١٦ •

(٢) فى الرسالة السابقة •

الجسد بطبيعته ، ولأنه هو الكلمة منذ الأزل . قد ارتضى ـ بتحنن أبيه وصلاحه ـ أن يظهر لنا فى جسد بشرى لخلاصنا .

٤ ـ اذن فيليق بنا أن نبدأ بحث هذا الموضوع بالتحدث عن خلقة الكون وعن الله بارئه ، وعندئذ يمكننا أن ندرك أن تجديد الخليقة كان من عمل نفس « الكلمة » الذى خلقها فى البداية ، اذ سوف يتضح أنه لم يكن أمرا مخالفا أن يتمم الله خلاص العالم بذاك الذى خلقه به أولا .

# الفصل الثانى

دحض بعض الآراء الخاطئة عن عملية الخلقة
(١) مذهب الابيكوريين ، وهو القائل بأن الخلق مصادفة ، لكن تعدد الاجسام والاجزاء يستلزم وجود قوة خالقة (٢) مذهب « الأفلاطونيين » ، وهو القائل بوجود المادة من قبل . وهذا يخضع الله للحدود البشرية ، ويجعله لا خالقا بل صانعا ميكانيكيا (٣) مذهب اللاأدريين أو الاغنسطيين ، وهو القائل بوجود خالق آخر . وهذا يشجبه الكتاب المقدس .

١ — لقد نحا الكثيرون مناحى مختلفة فى صدد صنع الكون وخلق جميع الأشياء ، ووضع كل منهم المبدأ الذى يتفق وأهواءه . فالبعض توهم أن كل الأشياء وجدت من تلقاء ذاتها وبمجرد الصدفة ، كالأبيكوريين[١] مثلا ، الذين يدعون بغرورهم أن لا وجود لتلك العناية التى تهيمن على الكل ، وهم فى ذلك يناقضون الحق الواضح والاختبار الملموس .

٢ — فلو صح زعمهم بأن كل شىء وجد من نفسه ، خلوا من أية غاية ، لنتج من هذا أن جميع الأشياء لابد أن تكون قد

---

(١) هم اتباع « ابسيكروس » الفيلسوف الوثنى الذى ولد سنة ٣٤١ ومات سنة ٢٧٠ ق. م.

خلقت بطريقة واحدة فى حال واحدة ـ متشابهة وغير متميزة عن بعضها . وبالتالى كان يجب ، من جهة اتحاد الجسم ، أن يكون الكل شمسا أو قمرا . وفى حالة الانسان كان يجب إن يكون الكل عينا أو يدا أو رجلا . الحال غير هذا ، بل العكس أننا نرى تمييزا فى الخليقة . فنرى الشمس والقمر والأرض ، وفى الأجساد البشرية نرى الرجل واليد والرأس . فهذا التمييز يدل على أنها لم تبرز الى الوجود من نفسها ، بل يدل على أنه قد تقدمتها علة ، ومن هذه العلة نستطيع أن ندرك الله كخالق وباعث للكل .

٣ ـ والبعض الآخر ـ وضمنهم « أفلاطون »[١] الذى ذاعت شهرته بين اليونانيين ـ يزعمون بأن الله صنع العالم من مادة موجودة من قبل لا بداية لوجودها[٢] ، لأنه لم يكن ممكنا لله[٣] أن يصنع شيئا ما لم تكن المادة موجودة فعلا ، كالنجار مثلا الذى لا يستطيع أن يصنع شيئا ما لم تكن مادة الخشب متوفرة بين يديه .

---

(١) أحد فلاسفة اليونان أيضا عاش من سنة ٤٢٧ الى سنة ٣٤٧ ق . م .

(٢) أو غير مخلوقة كبعض الترجمات .

(٣) حسب ادعائهم .

٤ ـ على أنهم بقولهم هـذا لا يدركون أنهم ينسبون الضعف لله • لأنه لو لم يكن هو باعث المادة ، بل يصنع الأشياء من المادة الموجودة من قبل ، فهذا معناه أنه ضعيف ، لأنه اذ ذاك لا يستطيع ايجاد شيء بدون توفر المادة لديه • كما أنه لا شك يعتبر ضـعفا من النجار أن لا يستطيع صنع أى شيء يحتاجه دون توفر الخشب لديه • لأنه يترتب على هذا الزعم أنه لو لم تكن المادة قد توفرت لدى الله لمـا كان قد صـنع شـيئا • وكيف يسوغ لنا فى هذه الحالة أن ندعوه خالقا وبارئا ان كان يدين بقدرته على الخلق لمصدر آخر ، أى المادة ؟ فلو كان الأمر كذلك لكان الله حسب رأيهم صـانعا ميكانيكيا ، ليس خالقـا من العدم ، ما دام يصنع الأشياء من المادة المتوفرة لديه دون أن يكون هو الباعث للمادة ، لأنه لا يمكن بأى حال أن يدعى خالقا ما لم يكن هو الخالق للمادة التى منها صنعت جميع المخلوقات بدورها •

٥ ـ وأما المبتدعون فيتوهمون لأنفسهم خالقا آخر لكل الأشياء ، غير أبى ربنا يسوع المسيح ، وهم بذلك يبرهنون على منتهى العمى • لا يرون حتى نفس الألفاظ التى يستعملونها •

٦ ـ لأنه ان كان الرب قد قال لليهـود « أما قرأتم أن الذى خلقه من البدء خلقهمـا ذكرا وأنثى وقال من أجـل هذا

يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنـان جسدا واحدا » ، ثم قال أيضا مشيرا الى الخـالق « فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان »[1] ، فكيف يسوغ لأولئك القوم أن يدعوا بأن عملية الخـلق لا تنسب الى الآب ؟ أو ــ حسب تعبير « يوحنا » الذى يتحدث عن جميع الكائنات بلا استثناء ــ أن كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان »[2] ، فكيف يمكن أن يكون الخالق شخصية أخرى غير الآب ؟

---

(١) متى ١٩ : ٤ ــ ٦ .

(٢) يوحنا ١ : ٣ .

# الفصل الثالث

العقيدة السليمة . خلقة الكائنات من العدم لسبب فرط جود الله وكرمه . خلقة الانسان اعلى من سائر الكائنات ، ولكن دون ان تكون له المقدرة على البقاء مستقلا عن غيره . العطية السامية الممتازة التى منحت اليه أن يكون على صورة الله ومثاله ، مع وعده بالسعادة بشرط استمراره فى النعمة .

١ ــ وهكذا نراهم يتخبطون فى أوهامهم وترهاتهم . أما التعليم الالهى والايمان بالمسيح ، فانهما يدمغان أقوالهم الغبية بوصمة العار ، ويظهران أنها كفر والحاد . لأنه معلوم أن الكائنات لم تخلق من تلقاء ذاتها ، فان خلقتها تستلزم وجود فكر سابق . كما أنها لم تخلق من مادة موجودة من قبل ، لأن الله ليس ضعيفا . ولكن الله خلق الكون من العدم ، ومن غير سبق وجوده مطلقا ، بكلمته ، كما يقول ( أولا ) على لسان « موسى » « فى البدء خلق الله السموات والأرض »[١] ، ( وثانيا ) فى الكتاب البانى جدا الذى يسمى « الراعى[٢] » .

---

(١) تكوين ١ : ١ .

(٢) لمؤلفه «هرماس» احد مؤلفى الأجيال الأولى للمسيح.

« وقبل كل شيء أومن بأن الله واحد ، الذى خلق وصور كل الأشياء ، وأوجدها من العدم » .

٢ ـ والى هذا يشير أيضا «بولس» اذ يقول : «بالايمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله ، حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر[١] » .

٣ ـ لأن الله صالح ، أو بالحرى هو بالضرورة مصدر الصلاح ، والصالح لا يمكن أن يبخل بأى شيء . لذلك فانه ، اذ لا يضن بنعمة الوجود على أى شيء ، خلق كل الأشياء من العدم بكلمته ـ يسوع المسيح ربنا . وفضلا عن ذلك فانه اذ أشفق بصفة خاصة على الجنس البشرى دون سائر المخلوقات على الأرض ، واذ رأى ضعفه ـ بطبيعة تكوينه ـ عن أن يبقى فى حال واحدة ، منحه نعمة أخرى ، فانه لم يكتف بمجرد خلقته للانسان ، كما خلق باقى المخلوقات غير العاقلة على الأرض ، بل خلقه على صورته ومثاله ، وأعطاه نصيبا حتى فى قوة «كلمته» ، لكى يستطيع وله نوع من ظل « الكلمة » ، وقد خلق عاقلا ، أن يبقى فى السعادة أبدا ، ويحيا الحياة الحقيقية ، حياة القديسين فى الفردوس .

---

(١) عبرانيين ١١ : ٤ .

٤ ــ ولكن لعلمه أيضا أن ارادة الانسان يمكن أن تميل الى احدى الجهتين[١] ، سبق فدعم النعمة ، المعطاة له ، بالوصية التى قدمها اليه ، والمكان الذى أقامه فيه ، لأنه أتى به الى جنته ، وأعطاه وصية ، حتى اذا حفظ النعمة ، واستمر صالحا ، استطاع الاحتفاظ بحياته فى الفردوس بلا حزن ولا ألم ولاهم ، فضلا عن موعد عدم الفساد فى السماء . أما اذا تعدى الوصية وارتد، وأصبح شريرا . فيعلم بأنه يجلب على نفسه الفساد بالموت الذى كان يستحقه بالطبيعة ، وأنه لا يستحق الحياة فى الفردوس بعد، بل يطــرد منه من ذلك الوقت ، ولكى يموت ويبقى فى الموت والفساد .

٥ ــ وهذا يحذر منه الكتاب المقدس قائلا بفم الله « من جميع شجر الجنة تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها موتا تموت[٢] » . وماذا يعنى بقوله : « موتا تموت » . ليس المقصــود مجــرد الموت فقط ، بل أيضا البقاء الى الأبد فى فساد الموت .

---

(١) أى الخير والشر .

(٢) تكوين ٢ : ١٦ و ١٧ .

# الفصل الرابع

اتصال خلقتنا والتجسد الالهى أحدهما بالآخر اتصالا وثيقا . وكما خلق الانسان بكلمة الله من العدم الى الوجود ، ثم نال نعمة الهية ، كذلك بخطية واحدة خسر تلك الحياة ، وجلب على نفسه الفساد ، وملأت الخطية والشقاء العالم .

١ ــ قد تدهش وتتساءل عن السبب فى هذا البحث عن أصل البشرية ، طالما كان القصد من هذه الرسالة التحدث عن تجسد الكلمة ، ولكن اعلم أن هذا البحث أيضا يتصل بالغرض من هذه الرسالة .

٢ ــ لأننا عند التحدث عن ظهور المخلص بيننا ، يتحتم علينا التحدث عن أصل البشر ، ولكى تعلم أن نزوله الينا كان بسببنا ، وأن عصياننا استدعى تعطف الكلمة لكى يسرع الرب فى اغاثتنا والظهور بين البشر .

٣ ــ لأن اغاثتنا كانت هى الغرض من تجسده ! ولأجل خلاصنا أظهر محبته العظمى الى حد أن يظهر ويولد فى جسد بشرى .

٤ — فالله اذا خلق الانسـان ، وقصـد أن يبقى فى عدم فساد ، أما البشر ، فاذ احتقروا ورفضوا التأمل فى الله ، واخترعوا ودبروا الشر لأنفسهم ، كما تقدم بحثه فى الرسالة السالفة[١] ، فقد استحقوا حكم الموت الذى سبق تهديدهم به • ومن ذلك الحين لم يبقوا بعد فى الصورة التى خلقوا عليها ، بل فسـدوا حسبما أرادوا لأنفسهم[٢] ، وساد عليهم الموت كملك[٣] • لأن تعديهم الوصـية أعادهم الى حالتهم الطبيعية ، حتى أنهم كما نشأوا من العدم ، كذلك يجب أن لا يتوقعوا الا الفساد الذى يؤدى الى العدم مع توالى الزمن •

٥ — لأنهم ان كانوا بحضـور « الكلمـة » وتعطفه قد دعوا الى الوجـود ، من الحـالة الطبيعية الأولى ، وهى عدم الوجود ، فانهم بطبيعة الحال متى تجردوا من معرفة الله عادوا الى العـدم[٤] (لأن كل ما هو شر فهو عدم ، وكل ما هو خير فهو كائن وموجود ) ، ويجب أن تكون النتيجة بطبيعة الحال الحرمان الى الأبد من الوجود ، طالما كانوا يستمدون وجودهم من الله الموجود • وبتعبير آخر يجب أن تكون النتيجة الانحلال ، وبالتالى البقاء فى حالة الموت والفساد •

---

(١) أنظر الرسالة الى الوثنيين فصل ٣ — ٥ .

(٢) جامعة ٧ : ٢٩ ، رومية ١ : ٢١و٢٢ (٣) رومية ٥ : ١٤

(٤) أو « الى ما لا وجود له » . ولعـل اثناسيوس يقصد العدم جسديا .

٦ ــ لأن الانســـان اذ خلق من العدم فانه فان بطبيعته ، على أنه ، بفضل خلقته على صورة الله الكائن ، كان ممكنا أن ينجو من الفساد الطبيعي ، ويبقى فى عدم فساد لو أنه احتفظ بتلك الصـــورة بابقاء الله فى معرفته . وكما تقــول الحكمة : « حفظ شرائعه تحقيق عدم البلى ( الخلود )[١] » ، ولكنه اذ كان فى عدم فساد ، كان ممكنا أن يعيش كالله منذ ذلك الوقت ، والى هذا يشـــير الكتاب المقـــدس على الأرجح عندما يقول : « أنا قلت انكم آلهة وبنو العـــلى كلكم . لكن مثل النـــاس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون[٢] » .

---

(١) سفر الحكمة ٦ : ١٩ . (٢) مزمور ٨٢ : ٧٦ .

# الفصل الخامس

١ ــ لأن الله لم يكتف بأن يخلقنا من العدم ولكنه أيضا وهبنا مجــانا ، بنعمة الكلمة ، حياة منسجمة مع الله • ولكن البشر اذ رفضوا الأمور الأبدية ، وتحولوا الى الأمور الفاسدة بمشورة الشيطان ، صاروا سببا لفساد أنفسهم بالموت ، لأنهم ــ كما ذكرت سابقا ــ بالطبيعة فاســدون تعينوا للخلاص من حالتهم الطبيعية بنعمة اشتراكهم فى « الكلمة » ــ ان استمروا صالحين •

٢ ــ ولأن « الكلمة » حل معهم ، فحتى فسادهم الطبيعى لم يجسر أن يقترب منهم ، كما تقــول الحكمة أيضا « لأن الله خلق الانسان فى عدم البلى[١] وصنعه على صورة أزليته ، لكن الموت دخل الى العالم[٢] بسبب ابليس» • وعندما تم ذلك بدأ البشر يموتون ، وساد عليهم الفساد من ذلك الوقت فصاعدا ، وصار له ســلطان على كل الجنس البشرى أكثر من ســلطانه الطبيعى ، لأنه أتى نتيجة تهديد الله فى حال عصيان الوصية •

---

(١) أو « خالدا » حسب ترجمة اليسوعيين •

(٢) حكمة ٢ : ٢٣ و ٢٤ •

٣ ــ لأن البشر لم يقفوا عنـد حد معين حتى فى سـوء أفعالهم ، بل تدرجوا فى الشر حتى تخطوا كل حدود ، وأصبحوا يخترعون الشر ويتفننون فيه ، الى أن جلبوا على أنفسهم الموت والفساد ، وبعد ذلك اذ توغلوا فى الرذيلة ، ولم يقفوا عند شر واحد ، بل راحوا يخترعون كل جديد من الشر ، فقد أصبحت طبيعتهم مشبعة بالخطية •

٤ ــ فها هى خطايا الزنى والسرقة قد عمت كل مكان ، وامتلأت كل الأرض بخطايا القتـل والنهب ، وأصـبح البشر لا يرعون حرمة للناموس ، بل صاروا يرتكبون الجرائم فى كل مكان ، سواء كأفراد أو كجماعات • فالمدن اشتبكت فى الحروب مع المدن ، والأمم قامت ضد الأمم ، وتمزقت كل الأرض بسبب المنازعات المدنية والحروب ، وصار كل انسان يتنافس مع أترابه فى الأعمال القبيحة •

٥ ــ وأصبحوا لا يترفعون حتى عن الجـرائم التى ضد الطبيعة ، كما يقول عنهم رسول المسيح وشاهده : « لأن اناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعى بالذى على خلاف الطبيعة ، وكذلك الذكور أيضا تاركين استعمال الأنثى الطبيعى اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكورا بذكور ونائلين فى أنفسهم جزاء ضلالهم المحق[1] » •

---

(١) رومية ١ : ٢٦ و ٢٧ •

# الفصل السادس

اذن فقد كان الجنس البشرى سائرا الى الفناء ، وكانت صورة الله فيه سائرة الى الاضمحلال ، وتلف عمله . لهذا كان أمام الله أحد أمرين : اما أن يتنازل عن كلمته التىنطق بها، والتى جلب بها الانسان على نفسه الخراب ، أو أن يهلك الانســان الذى شارك الكلمة . وفى هذه الحالة يفشــل قصد الله . فمــاذا اذن ؟ أيحتمل صلاح الله هذا ؟ وان كان الأمر كذلك فلمــاذا خلق الانســان ؟ لو أن هذا حدث لدل على ضعف الله لا على صلاحه .

١ ــ اذن فمن أجل هذا ساد الموت البشر وعمهم الفساد ، وكان الجنس البشرى سائرا نحو الهلاك ، وكان الانسان العاقل الذى خلق على صــورة الله آخذا فى الاختفاء ، وكانت صنعة الله آخذة فى الانحلال .

٢ ــ لأن الموت ، كما قلت ســابقا ، صارت له ســيادة شرعية علينا[١] منذ ذلك الوقت ، وكان مســتحيلا أن ينقض النــاموس ، لأن الله هو الذى وضــعه بســبب التعدى[٢] ، وأصبحت النتيجة فى الحال مرعبة حقا وغير لائقة .

---

(١) تكوين ٢ : ٢٥ .

(٢) غلاطية ٣ : ١٩ .

٣ ـ لأنه ( أولا ) كان أمرا مرعبا لو أن الله بعد ما تكلم يصير كاذبا ، اذ كان بعد أن أصـــدر حكمه على الانسان بأن يموت موتا ان تعدى الوصية لا يموت ، بل تبطل كلمة الله . ولو كان الانسان لم يمت بعد أن قال الله أننا نموت ، لأصبح الله غير صادق .

٤ ـ ( ثانيا ) وكان أيضا أمرا غير لائق أن الخليقة التى خلقت عاقلة ، والتى شـــاركت « الكلمة » ، يصـــبح مصيرها الهلاك ، وترجع الى عدم والوجود بالفساد .

٥ ـ لأنه مما لا يتفق مع صلاح الله أن تفنى خليقته بسبب الغواية التى أدخلها الشيطان على البشر .

٦ ـ وبصفة خاصة كان غير لائق على الاطلاق أن تتلاشى صـــنعة الله بين البشر ، اما بســـبب اهمالهم ، أو بسبب غواية الأرواح الشريرة .

٧ ـ ولو كان مصير الخليقة العاقلة قد بات الى الهلاك ، وصار مآل هذه المصنوعات الى الفناء ، فما الذى يفعله الله فى صلاحه اذن ؟ أيحتمل بأن يرى الفساد يســـود البشر ، والموت ينشب أظافره فيهم ؟ وما الفائدة من خلقتهم منذ البدء ؟ لأنه كان خيرا لهم لو لم يخلقهم من أن يخلقوا ثم يهملون ويفنون .

٨ ـ لأن الاهمال لا يعلن صلاح الله بل ضعفه ، ان كان يسمح لخلقة يديه بالفناء بعد أن خلقها ، وكان بالأحرى يتبين ضعفه لو لم يكن قد خلق الانسان على الاطلاق •

٩ ـ لأنه لو لم يكن قد خلق جنس البشر لما تجاسر انسان أن ينسب اليه الضعف • أما وقد خلقه ، وخلقه من العدم ، فقد كان يعد أمرا مشينا جدا أن يفنى المخلوق على مرأى من الخالق •

١٠ ـ لهذا أصبح أمرا محتما ألا يترك الانسان لتيار الفساد ، لأن ذلك يعتبر عملا غير لائق ، ولا يتفق مع صلاح الله •

# الفصل السابع

على اننا من الجهة الأخرى نعلم أن طبيعة الله ثابتة ، ولا يمكن أن تضحى من أجلنا . ايدعى البشر اذن للتوبة ؟ لكن التوبة لا تستطيع ان تحول دون تنفيذ الحكم ، كما انها فى الوقت نفسه لا تستطيع ان تداوى الطبيعة البشرية الساقطة . فنحن قد جلبنا الفساد على انفسنا ونحتاج لاعادتنا الى نعمة صورة الله . ولا يستطيع احد ان يجدد الخلق الا الخالق ، فهو وحده الذى يستطيع (١) أن يخلق الجميع من جديد (٢) أن يتألم من أجل الجميع (٣) ان يقدم الجميع الى الآب .

١ ــ وان كنا قد وصلنا الى هذه النتيجة فاننا من الناحية الأخرى نجد مطالب الله العادلة تصطدم بها ، اذ يجب أن يكون الله أمينا وصادقا من جهة حكم الموت الذى وضعه . لأنه كم يكون شنيعا جدا لو كان الله أبو الحق يظهر كاذبا من أجلنا ومن أجل نجاتنا ؟

٢ ــ ومرة أخرى نقول : أى طريق كان ممكنا أن يسلكه الله ؟ أيطلب من البشر التوبة عن تعدياتهم ؟ ــ وهذا قد يرى لائقا بالله ــ لعلهم كما ورثوا الفساد بسبب التعدى ينالون عدم الفساد بسبب التوبة .

٣ ـ ولكن التوبة ( أولا ) لا تستطيع أن توفى مطلب الله العادل لأنه ان لم يظل الانسان فى قبضـــة الموت يكون الله غير صادق ( ثانيـــا ) تعجز عن أن تغير طبيعة الانســـان ، لأن كل ما تفعله هو أنها تقف حائلا بينه وبين ارتكاب الخطية .

٤ ـ ولو كان الأمر مجرد خطأ بسيط ارتكبه الانسان ، ولم يتبعه الفساد ، فقد تكون التوبة كافية . أما وقد علمنا أن الانسان بمجرد التعدى انحرف فى تيار الفساد ، الذى كان طبيعة له ، وحرم من تلك النعمة التى سبق أن أعطيت له وهى مماثلة لصورة الله ، فما هى الخطوة التالية التى كان يستلزمها الأمر ، أو من الذى كان يستطيع أن يعيد اليه تلك النعمة ، ويرده الى حالته الأولى ، الا كلمة الله الذى خلق كل شىء من العـــدم فى البـــدء ؟

٥ ـ لهذا كان أمام كلمة الله مرة أخرى أن يأتى بالفاسد الى عدم فساد ، وفى نفس الوقت أن يوفى مطلب الآب العـــادل المطالب به الجميع . وحيث أنه هو كلمة الآب ويفوق الكل ، فكان هو وحده الذى يليق بطبيعته أن يجدد خلقة كل شىء ، وأن يتحمـــل الآلام عوضا عن الجميع وأن يكون نائبا[1] عن الجميع لدى الآب .

---

(١) او « شفيعا » ، او « سفيرا » كبعض الترجمات .

# الفصل الثامن

لهذا افتقد كلمة الله الأرض التى كان حاضرا فيها دواما ، ورأى كل هذه الشرور ، ثم اخذ جسدا من طبيعتنا من عذراء طاهرة عفيفة حل فى احشائها ، وذلك لكى يعلن نفسه فيه ، ويقهر الموت ، ويعيد الحياة .

١ ــ لأجل ذلك جاء الى عالمنا كلمة الله ، الخالى من الجسد ، والعديم الفساد ، وغير المادى ، مع أنه لم يكن عنا ببعيد[١] . لأنه لم يترك شيئا من البرايا خلوا منه ، اذ هو يملأ كل شىء فى كل مكان ، وفى نفس الوقت هو كائن مع أبيه . ولكنه تنازل وأتى الينا لكى يعلن شفقته علينا ويفتقدنا .

٢ ــ واذ رأى جنس الخليقة العاقلة فى طريق الهلاك ، وأن الموت يسودهم بالفساد ، واذ رأى أيضا أن التهديد بالموت فى حالة التعدى ، قد مكن الفساد من طبيعتنا ، وأنه لأمر شنيع أن ينحل الناموس قبل أن يتم ، واذ رأى أيضا عدم لياقة الأمر الراهن ، وهو أن خليقته التى خلقتها يداه فى طريق الفناء ، واذ

---

(١) أعمال ١٧ : ٢٧ .

رأى فوق هذا شر البشر المستطير ، وأنهم يتزايدون فيه شيئا فشيئا ، حتى أشرفوا على هوة سحيقة ، واذ رأى أخيرا أن كل البشر كانوا تحت قصاص الموت ـ لهذا أشفق على جنسنا ، وترفق بضعفنا ، ورثى لفسادنا . واذ لم يحتمل أن يرى الموت تصير له السيادة ، لئلا تفنى به الخليقة ، وتذهب صنعة أبيه فى البشر هباء ، فقد أخذ لنفسه جسدا لا يختلف عن جسدنا .

٣ ـ لأنه لم يفكر فى مجرد التجسد ، أو مجرد الظهور[١] ، والا فلو أنه أراد مجرد الظهور لاستطاع أن يتمم ظهوره الالهى بطريقة أسمى وأفضل . ولكنه أخذ جسدا من جنسنا ، وليس ذلك فحسب ، بل من عذراء طاهرة بلا لوم ، لم تعرف رجلا ، جسدا طاهرا وخاليا بالحق من زرع بشر . لأنه ، وهو القادر على كل شيء ، وبارىء كل شيء ، أعد الجسد فى العذراء كهيكل له ، وجعله جسده بالذات ، واتخذه أداة له ، وفيه أعلن ذاته ، وفيه حل .

٤ ـ وهكذا اذ أخذ من أجسادنا جسدا مماثلا لطبيعتها ، واذ كان الجميع تحت قصاص فساد الموت ، فقد بذل جسده للموت عوضا عن الجميع ، وقدمه للآب . كل هذا فعله شفقة منه علينا ، وذلك ( أولا ) لكى يبطل الناموس الذى كان يقضى

---

(١) انظر فصل ٤٣ : ٧ .

بهلاك البشر ، اذ مات الكل فيه ، لأن سلطانه قد أكمل فى جسد الرب ولا يعـود ينشب أظفـاره فى البشر الذين ناب عنهم •
( ثانيا ) لكى يعيـد البشر الى عدم الفسـاد بعد أن عادوا الى الفساد ، ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيـامة ، وينقذهم من الموت[1] كانقاذ القش[2] من النار •

---

(١) الترجمة الأصح « ويبيد الموت عنهم » •

(٢) أو « القصب » كبعض الترجمات ، والمعنى أن الناس هم القش ، والموت هو النار •

# الفصل التاسع

وإذ لم يكن ممكناً أن يوقف الوباء الا بالموت . اخذ « الكلمة » جسداً قابلا للموت . وإذ اتحد الجسد به أصبح نائبا عن الكل ، وباشتراكه فى عدم موته أوقف فساد الجنس البشرى . وبكونه أسمى من الكل ، جعل جسده ذبيحة من أجلنا . وبكونه واحدا معنا كلنا ألبسنا عدم الموت . تشبيه لايضاح هذا .

١ ـ وإذ رأى « الكلمة » أن فساد البشرية لا يمكن أن يبطل الا بالموت كشرط لازم ، وأنه مستحيل أن يتحمل « الكلمة » الموت لأنه غير مائت ولأنه ابن الآب ، لهذا أخذ لنفسه جسدا قابلا للموت ، حتى باتحاده « بالكلمة » ، الذى هو فوق الكل ، يكون جديرا أن يموت نيابة عن الكل ، وحتى يبقى فى عدم فساد بسبب الكلمة الذى أتى ليحل فيه ، وحتى يتحرر الجميع من الفساد ، فيما بعد ، بنعمة القيامة من الأ . وإذ قدم للموت ذلك الجسد ، الذى أخذه لنفسه ، كمحرقة وذبيحة خالية من كل شائبة ، فقد رفع حكم الموت فورا عن جميع من ناب عنهم ، اذ قدم عوضا عنهم جسدا مماثلا لأجسادهم .

٢ ـ ولأن كلمة الله متعال فوق الكل ، فقد لاق به بطبيعة

الحال أن يوفى الدين بموته ، وذلك بتقـديم هيكله وآنيتـه البشرية لأجل حياة الجميع[1] . واذ اتحد ابن الله عديم الفساد بالجميع بطبيعة مماثلة ، فقد ألبس الجميع عدم الفساد ، بطبيعة الحال ، بوعد القيامة من الأموات . لأنه لم يعد ممكنا أن ينشب فساد الموت الفعلى أظفاره فى البشر ، وذلك بسبب « الكلمة » الذى جاء وحل بينهم بجسده الواحد .

٣ ــ وكما أنه لو دخل ملك عظيم مدينة عظيمة[2] ، واتخذ اقامته فى أحد بيوتها ، فان هذه المدينة تتشح بالشرف الرفيع ، ولا يعود عدو أو لص ينزل اليها لاخضاعها ، بل على العكس ، تعتبر مستحقة لكل عناية ، لأن الملك اتخذ مقـره فى بيت من بيوتها ، كذلك كانت الحال مع ملك الكل .

٤ ــ فانه اذ أتى الى عالمنا ، واتخذ اقامته فى جسد واحد بين أترابه ، فقد بطلت كل مؤامرة العدو ضد الجنس البشرى منذ ذلك الحين ، وزال عنهم فساد الموت الذى كان سائدا عليهم من قبل . لأنه لو لم يكن الرب مخلص الجميع ، ابن الله ، قد جاء الينا وحل بيننا ليوفى غاية الموت[3] ، لكان الجنس البشرى قد هلك .

---

(١) أو « فداء عن الجميع » .

(٢) لعله يشير الى ما كان يحدث عند زيارة الأباطرة للبلاد . وقد تشرفت القسطنطينية بعد ذلك ( سنة ٣٢٦ ) بزيارة الملك العظيم قسطنطين لها واقامته فيها .

(٣) أو « ليضع حدا للموت » .

# الفصل العاشر

ايضاح معقولية عمل الفداء بتشبيه آخر . كيف ازال المسيح عنا هلاكنا ، وقدم لنا فى تعاليمه الدواء الشافى من سمومه . البراهين الكتابية لتجسد « الكلمة » ، وللذبيحة التى قدمها .

١ — حقا لقد كان هذا العمل العظيم متفقا مع وجود الله بشكل عجيب . لأنه اذا أسس ملك منزلا أو مدينة وأحدق بها اللصوص بسبب اهمال سكانها ، فانه لا يهملها أو يتغاضى عنها بأى حال ، بل يقوم ويهتم وينتقم من العابثين بها لأنها صنعة يديه ، غير مبال باهمال سكانها ، بل بما يليق بذاته . وهكذا الله ، كلمة الآب الكلى الصلاح ، لم يهمل الجنس البشرى صنعة يديه ، ولم يتركه للفساد ، بل أبطل الموت بتقديم جسده ، وعالج اهمالهم بتعاليمه ، ورد بسلطانه كل ما كان للانسان .

٢ — وهذه كلها يمكن للمرء أن يتحققها من كتبة الانجيل ، الذين كتبوا بالهام الروح القدس ، اذا اطلع على كتاباتهم التى فيها يقولون « لأن محبة المسيح تحصرنا اذ نحن نحسب هذا أنه ان كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع اذا ماتوا . وهو مات لأجل الجميع كى لا نعيش فيما بعد لأنفسنا بل للذى

مات لأجلنا وقام[1] » ربنا يسوع المسيح . أيضا « ولكن الذى وضع قليلا عن الملائكة يسوع نراه مكللا بالمجد الكرامة من أجل ألم الموت لكى يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد[2] » .

٣ ــ بعد ذلك يبين ( فى الآية التالية ) لماذا لم يكن ممكنا لأحد آخر سوى الله « الكلمة » نفسه أن يتجسد : « لأنه لاق بذاك الذى من أجله الكل ، وبه الكل ، وهو آت بأبناء كثيرين الى المجد ، أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام[3] » . وهو بهذه الكلمات يقصد أن يبين أنه لم يكن مستطاعا لأحد آخر أن يرد البشر عن الفساد الذى بدأ غير كلمة الله الذى خلقهم أيضا من البدء .

٤ ــ ولامكان تقديم ذبيحة عن الأجساد أخذ « الكلمة جسدا مشابها » . والى هذا يشيرون أيضا فى الكلمات التالية : « فاذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضا فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى ابليس . ويعتق الذين خوفا من الموت كانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية[4] » .

---

(١) « كى يعيش الاحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لاجلهم وقام » . ٢ كورنثوس ٥ : ١٤ و ١٥ .

(٢) عبرانيين ٢ : ٩ .

(٣) عبرانيين ٢ : ١٠ .

(٤) عبرانيين ٢ : ١٤ و ١٥ .

٥ ـ لأنه بذبيحة جسده وضع حدا لحكم الموت الذى كان قائما ضدنا ، ووضع لنا بداية جديدة للحياة برجاء القيامة من الأموات الذى أعطاه لنا . لأنه اذ كان بانسان قد ساد الموت على البشر ، لهذا السبب أيضا بطل الموت ، وتمت قيامة الحياة بتأنس كلمة الله ، كما يقول ذلك الانسان الذى حمل سمات المسيح[1] « فانه اذ الموت بانسان ، بانسان أيضا قيامة الأموات . لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح سيحيا الجميع[2] » . وهكذا نحن الآن لا نموت بعد كخاضعين للدينونة بل كأناس يقومون من الموت ننتظر القيامة العامة للجميع ، التى سيبينها فى أوقاتها الله ، الذى أتمها ، والذى وهبنا اياها[3] .

٦ ـ اذن فهذا هو السبب الأول الذى من أجله تأنس المخلص . على أننا سنرى أيضا من الأسباب الأخرى التالية أن مجيئه المبارك بيننا كان لابد أن يتم .

---

(١) غلاطية ٦ : ١٧ .
(٢) ١ كورنثوس ١٥ : ٢١ و ٢٢ .
(٣) ١ تيموثاوس ٦ : ١٥ .

# الفصل الحادى عشر

سبب آخر للتجسد : اذ عرف الله أن الانسان بطبيعته لم يكن فى مقدوره معرفته ، وهبه معرفته لكى يستطيع أن يجد فائدة من وجوده فى الحياة . لقد خلقه على صورة « الكلمة » حتى يستطيع بذلك أن يعرف « الكلمة » ، وبه يعرف الآب . أما هو فاذ احتقر هذه المعرفة ، هوى الى العبادة الوثنية ، تاركا الله غير المنظور ، واتبع السحر والشعوذة ، وذلك كله رغم اعلانات الله المتعددة عن نفسه .

١ ــ وعندما خلق الله الضابط الكل الجنس البشرى بكلمته ، ورأى ضعف طبيعتهم ، وأنها لا تستطيع من نفسها أن تعرف خالقها ، أو تكون أية فكرة عن الله على الاطلاق ، لأنه بينما هو ( أى الله ) غير مخلوق ، فقد خلقت الكائنات من العدم ، وبينما هو روح لا جسد له فقد خلق البشر ، بطريقة أدنى ، فى الجسد ، ولأن المخلوقات لم تستطع بأى حال أن تدرك وتعرف خالقها ــ لهذا تحنن الله على الجنس البشرى على قدر صلاحه ، ولم يتركهم خالين من معرفته ، لئلا يروا أن لا منفعة على الاطلاق من وجودهم فى الحياة .

٢ ـ لأنه أية منفعة للمخلوقات ان لم تعرف خالقها ؟ أو كيف يمكن أن تكون عاقلة بدون معرفة كلمة و ( فكر ) الآب الذى أوجدهم فى الحياة ؟ لأنه أن كانت كل معلوماتهم محصورة فى الأمور الأرضية فلا شيء يميزهم عن البهائم العديمة النطق . نعم ولماذا خلقهم الله لو كان لا يريدهم أن يعرفوه ؟

٣ ـ وتفاديا لهذا أعطاهم الله بصلاحه نصيبا من صورته ـ ربنا يسوع المسيح ـ وخلقهم على صورته ومثاله ، حتى اذا ما رأوا تلك الصورة أى كلمة الآب ، استطاعوا أن يكونوا فكرة عن الآب ، واذا ما عرفوا خالقهم عاشوا الحياة الحقيقية السعيدة المباركة .

٤ ـ ولكن البشر ، فى ضلالهم وتمردهم ، اذ تهاونوا ـ رغم كل هذا ـ بالنعمة التى أعطيت لهم ، تركوا الله كلية ، وأظلمت أنفسهم لا بمجرد ترك فكرتهم عن الله ، بل أيضا باختراعاتهم الكثيرة التى اخترعوها لأنفسهم الواحد تلو الآخر . لأنهم لم يكتفوا بأن يصوروا لأنفسهم التماثيل بدل الحق ، ويكرموا المخلوقات ـ التى لم تكن من قبل ـ دون الله الحى ، ويعبدوا المخلوق دون الخالق[١] ، بل والأسوأ من الكل ، حولوا مجد الله الى الخشب والحجارة ، والى كل الأشياء المادية ، والى

---

(١) رومية ١ : ٢٥ .

الانســان ، بل ذهبوا الى أبعد من هذا كما بيننا فى الرســالة السابقة •

٥ ــ ولقد بلغ بهم الفجور أنهم تقدموا لعبادة الشياطين ، ونادوا بها آلهة ، متممين بذلك شــهواتهم • فانهم كما ذكرنا آنفا ، قدموا محرقات من الحيوانات العديمة النطق ، وذبائح من البشر كما يلائمهم ، منحدرين بخطوات سريعة وراء نزعاتهم الجنونية •

٦ ــ من أجل هذا كثر بينهم تعليم فنون السحر ، وأضلت العرافة البشر فى أماكن متعددة ، وأصــبح كل البشر ينسبون ســبب ميلادهم ، بل وجــودهم الى الكواكب وكل الأجرام السماوية ، اذ لم يفكروا الا فى المنظور •

٧ ــ وبالاختصار لقد أصبح كل شىء مشبعا بروح الكفر والاستباحة ، وصار الله وحده وكلمتــه غير معــروف رغم أنه لم يخف نفسه عن نظر البشر ، ولا أعلن نفســه بطريقة واحدة فقط ، بل على العكس أعلن نفسه لهم بأشكال منوعة وطرق عدة •

# الفصل الثانى عشر

ومع ان الانســان خلق فى النعمة ، الا ان الله اذ سبق فعلم ميله الى النسيان ، أعد اعمال الخليقة لتذكره بشخصه . والأكثر من ذلك انه أعد الناموس والأنبياء الذين قصد بخدمتهم ان تكون لكل العالم . ولكن البشر لم يلتفتوا الا لشهواتهم .

١ ــ لأنه وان كانت نعمة مماثلة الصورة الالهية كافيــة فى حد ذاتها لمعرفة الله الكلمة ، ومعرفة الآب به ، الا أن الله ، العارف ضعف البشر ، أعد علاجا شــافيا لاهمالهم ، حتى اذا كانوا لا يعنون بمعرفة الله من تلقاء أنفسهم ، استطاعوا بواسطة المخلوقات أن يتجنبوا الجهل بالخالق(١) .

٢ ــ واذ تسفل اهمال البشر قليلا فقليلا الى السفليات ، أعد الله مرة أخرى علاجا لضعفهم هذا ، بارسال ناموس وأنبياء ، رجال معروفين لديهم ، حتى اذا ما تغافلوا عن أن يتطلعوا الى السماء ليعرفوا خالقهم ، استطاعوا أن يتعلمــوا ممن يعيشون بينهم ، لأن البشر يستطيعون أن يتعلموا من البشر بسهولة أكثر من السماويات .

---

(١) او « ان يعرفوا الخالق » .

٣ ـ وهكذا كان فى استطاعتهم ، اذا ما تطلعوا الى السماء وأدركوا جمـال الخليقة وتناسقها ، أن يعرفوا مدبرها ـ كلمة الآب ـ الذى يعرف الآب للجميع بسـلطانه على كل الأشـياء والذى يحرك كل الأشياء ، لهذه الغاية عينها ، حتى يسـتطيع الجميع أن يعرفوا الله •

٤ ـ أو ـ ان لم يكن ذلك فى مقدورهم ـ كان ممكنا لهم أن يلتقوا على الأقل بالقديسين ، وبواسطتهم يعرفون الله جابل كل الأشياء ، أبا المسيح ، ويعرفون أن عبادة الأوثان كفر بالله ، ومملوءة من كل فساد •

٥ ـ أو كان يسـيرا عليهم أن يعيشوا حياة فاضلة خالية من كل رجس وفساد لو عرفوا الناموس • لأن الناموس لم يعط لليهود فقط ، ولا أرسـل الأنبيـاء الى اليهود فقط ، ولكنهم ولو أنهم قد أرسلوا الى اليهود واضطهدوا من اليهود ، الا أنهم كانوا بمثابة مدرسة مقدسة لكل العالم ، لتعليم طريق معرفة الله وارشاد النفس •

٦ ـ ورغما عن عظم جود الله ورحمته ، فقد خدع البشر بالملذات العابرة والغوايات والاغراءات التى أرسـلتها الأرواح الشريرة ، ولم يقاوموا الحق فقط ، بل ثقلوا نير أنفسهم بالشرور والخطايا ، فلم يعـودوا يظهرون بعد كخليقة عاقلة ، بل دلت طرقهم على أنهم مجردون من العقل •

# الباب الثالث عشر

وهنا ايضا : أكان ممكنا لله ان يسكت : وان يترك للآلهة الكاذبة تلك العبادة التى أمرنا بتقديمها اليه ؟ ان الملك اذا عصته الرعية يذهب اليهم بنفسه بعد أن يرسل اليهم الرسائل . فكم بالأحرى يعيد فينا نعمة مماثلة صورته . هذا ما لم يستطع البشر أن يتمموه لأنهم ان هم الا أنموذج . لهذا كان لزاما أن يأتى « الكلمة » نفسه (١) ليجدد الخلقة (٢) ليبيد الموت فى الجسد .

١ ــ واذ صار البشر مثل البهائم ، وسادت غواية الشيطان كل مكان ، حتى حجبت معرفة الاله الحقيقى ، فما الذى كان يفعله الله ؟ أيسكت أمام هذا الأمر الجسيم ، ويدع البشر يضلون بتأثير الأرواح الشريرة ، ولا يعرفون الله ؟

٢ ــ ما هى الفائدة من خلقة الانسان أصلا على صورة الله ؟ كان خيرا له لو أنه خلق على صورة البهائم العديمة النطق ، من أن يخلق عاقلا ناطقا ثم يعيش بعد ذلك كالبهائم .

٣ ــ وهل كانت هنالك ضرورة مطلقا أن يعطى الانسان فكرة عن الله فى بداية الأمر ؟ لأنه ان كان حتى الآن غير مستعد أن ينالها فكان الأولى أن لا تعطى له من البداية .

٤ ــ وماذا ينتفع الله الذى خلقهم ، وكيــف يتمجد ، ان كان البشر الذين خلقهم لا يعبــدونه ، بل يتوهمون أن بعض الخلائق الأخرى هى التى خلقتهم ؟ لأنه بهذا يبرهن الله أنه قد خلقهم لا لنفسه بل للآخرين •

٥ ــ ومرة أخرى نسوق هذا التشبيه : ان أى ملك من ملوك الأرض ــ وهو مجرد انســان بشرى ــ اذا امتلك بلادا لا يتركها لآخرين لكى تخدمهم ، ولا يتنازل عنها لغيره ، ولكنه ينذر أهلها برسائله ، ثم يتصل بهم بواســطة الأصدقاء مرارا ، واذا اقتضى الأمر يذهب اليهم بشخصه كآخر وسيلة يلجأ اليها لتوبيخهم ــ كل ذلك لكى لا يخدموا آخرين فيذهب عمله هباء منثورا •

٦ ــ أفلا يشفق الله بالأولى على خليقته كى لا تضل عنه وتعبد الأشياء الباطلة التى لا وجود لها ، ما دام تبين أن ضلالهم قد سبب تلفهم وخرابهم ، ولم يكن لائقا أن يهلك أولئك الذين كانوا وقتا ما شركاء فى صورة الله •

٧ ــ اذن فما الذى كان ممكنا أن يفعله الله ؟ وماذا كان ممكنا أن يتم سوى تجديد تلك الخليقة التى كانت فى صورة الله ، وبذلك يســتطيع البشر مرة أخرى أن يعــرفوه ؟ ولكن كيف كان ممكنا أن يتم هذا الا بحضور نفس صورة الله ــ ربنا

يسوع المسيح ؟ كان ذلك مستحيلا أن يتم بواسطة البشر لأنهم انما خلقوا على مثال ، ولا بواسطة الملائكة لأنهم لم يخلقوا على صورة الله • لهذا أتى كلمة الله بشخصه لكى يستطيع — وهو صورة الآب — أن يجدد خلقة الانسان على مثال تلك الصورة •

٨ — ثم ان ذلك لم يكن ممكنا أن يتم أيضا دون القضاء على الموت والفساد •

٩ — ولذلك كان لائقا بطبيعة الحال أن يأخذ جسدا قابلا للموت ، حتى اذا أباد الموت فيه نهائيا أمكن تجديد البشر الذين خلقوا على صورته • اذن لم يكن كفؤا لهذه الحاجة الا صورة الآب •

# الفصل الرابع عشر

ان فسد الرسم وجبت اعادته من الصورة الأصلية . وهكذا أتى ابن الآب لكي يطلب ويخلص ويجدد الحياة . ولم تكن هنالك طريقة أخرى ممكنة ، لأن الانسان ، اذ طمس بصيرته بنفسه ، لم يستطع أن يبصر لكي يشفى وشهادة الخليقة فشلت عن أن تحفظه أو ترده عن ضلاله ، أما « الكلمة » فهو وحده الذى استطاع ان يتمم هذا . ولكن كيف ؟ ليس الا باعلان نفسه كانسان .

١ ـ وان تلطخت الصورة المرسومة على الخشب بالأدران من الخارج وأزيلت ، فلا بد من حضور صاحب الصورة نفسه ثانية لكى يساعد الرسام على تجديد الصورة على نفس اللوحة الخشبية ، لأنه اكراما لصورته يعز عليه أن يلقى بتلك اللوحة ، وهى مجرد قطعة خشبية ، بل يجدد عليها الرسم .

٢ ـ وعلى هذا المثال عينه أتى الى عالمنا ابن الآب الكلى القداسة ، اذ هو صورة الآب ، لكى يجدد خلقة الانسان الذى خلق مرة على صورته ـ ويجده كضال بمغفرة الخطايا ، كما يقول هو نفسه فى الانجيل : « انى جئت لكى أطلب وأخلص

الضال[1] » • ومن أجل هذا قال أيضا لليهود : « ان كان أحد لا يولد ثانية[2] » • وهو لا يقصد بهذا — كما ظنوا — الولادة من أمرأة ، وانما قصد التحدث عن اعادة ميلاد النفس ، وتجديد خلقتها على مثال صورة الله •

٣ — ولكن ان كانت العبادة الوثنية ، والمعتقدات الالحادية ، قد سادت العالم ، وان كانت معرفة الله قد أخفيت ، فمن ذا الذى كان يقوم بتعليم العالم عن الآب ؟ ان قال أحد ان هذه هى مأمورية الانسان أجبناه أنه لم يكن فى مقدور الانسان أن يجتاز الى كل مكان تحت الشمس ، لأنه ليست لديه القوة الجسدية التى تمكنه من أن يركض بهذه السرعة ، ولا هو يستطيع أن يدعى القدرة على القيام بهذا الأمر ، ولا هو يستطيع من تلقاء نفسه — مقاومة غواية الأرواح الشريرة وحيلها •

٤ — لأنه اذ انحرف الجميع فى تيار غواية الشيطان وأباطيل الأوثان ، فكيف كان ممكنا لهم أن يربحوا نفس الانسان وعقله ، وهم عاجزون حتى عن رؤية النفس والعقل ، وكيف يتاح لشخص أن يجدد ما لم يبصره ؟

---

(١) لوقا ١٩ : ١٠
(٢) يوحنا ٣ : ٣ و ٥ •

٥ — ولعل أحدا يقول ان الخلقة كانت كافيــة • ولكن لو كانت الخلقة كافيــة لما حدثت كل هــذه الشرور الجسيمة مطلقا ، لأن الخلقة كانت موجودة فعلا ، وكان البشر لا يزالون يتخبطون فى نفس الضلالة عن الله •

٦ — فالى من اذن كانت تدعو الحــاجة الا لكلمــة الله الذى يبصر النفس والعقل ، والمحرك لكل ما فى الخليقة ، وبها يجعل معرفة الآب ظاهرة ؟ لأن الذى كان يعلم البشر عن الآب بأعمال عنايته وبتدبيره لكل الأشياء ، هو الذى يستطيع أن يجدد ذلك التعليم عينه •

٧ — وكيــف كان ممكنا أن يتم هذا ؟ رب امرىء يقول انه كان ممكنا له أن يعلن الحق عن الآب مرة أخــرى بنفس الوسيلة السابقة ، أى بأعمال الخليقة .ولكن هذه لم تعد وسيلة مضمونة ، بل بالعكس ، ان البشر سابقا رفضوا أن يبصروها،ولم يعودوا يشخصون بأبصارهم الى فوق بل الى أسفل •

٨ — لهذا اذ ابتغى منفعة البشر ، كان طبيعيا أن يأتى الينا كانسان آخذا لنفسه جسدا كسائر البشر ، ليعلمهم من الأمور الأرضية — أى بأعمال جسده — حتى يستطيع من لا يدرون أن يعرفوه من أعمال عنايته ، وسلطانه على كل الأشياء أن يبصروا الأعمال التى عملها بجسده الفعلى ، ويعرفوا كلمة الله الحال فى الجسد ، وفيه يعرفون الآب •

# الفصل الخامس عشر

واذ رأى « الكلمة » ان البشر حصروا فى الأمور الجسدية تنازل الى مستوى تفكيرهم واخذ جسدا . والتقى باحساساتهم فى منتصف الطريق . وسواء اتجهت ميولهم الى عبادة الطبيعة ، او البشر ، أو الارواح الشريرة ، او الموتى ، فقد اظهر نفسه ربا على كل هؤلاء .

١ ــ وكما أن المعلم الصالح ــ الذى يعنى بتلاميذه ــ يتنازل الى مستواهم ، اذ رأى البعض منهم لم يستفيدوا بالعلوم التى تسمو فوق ادراكهم ، ويقدم اليهم تعاليم أبسط ، هكذا فعل كلمة الله كما يقول « بولس » أيضا « اذ كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بحكمته[1] استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة[2] » .

٢ ــ لأنه اذ رأى أن البشر رفضوا التأمل فى الله ، وانحطت نظراتهم الى أسفل كأنهم قد غاصوا فى العمق ، باحثين عن الله فى الطبيعة وفى عالم الحسيات ، ومخترعين لأنفسهم آلهة من البشر القابلين للفناء ، ومن الجن ــ لهذا فان مخلص الكل المحب ،

---

(١) « بالحكمة »

(٢) ١ كورنثوس ١ : ٢١

كلمة الله ، أخذ لنفسه جسدا ، وكانسان مشى بين الناس ، وقابل احساسات كل البشر فى منتصف الطريق[1] ، وحتى يستطيع من يتخيلون الله هيوليا[2] أن يدركوا الحق بما يعلنه الرب فى جسده ، ويدركوا[3] الآب فيه .

٣ ــ وهذا لأن البشر هم بشر ، ولأن كل أفكارهم أصبحت بشرية ، ففى كل الأمور التى ركزوا فيها احساساتهم وجدوا أنفسهم قد قوبلوا فى منتصف الطريق وعلموا الحق من كل ناحية .

٤ ــ فان نظروا الى الخليقة بدهشة ورهبة رأوها تعترف بالمسيح ربا ، وان اتجهت عقولهم نحو البشر ليتوهموا أنهم آلهة وجدوا أن أعمال المخلص ــ ان قارنوها بأعمال البشر ــ قد أظهرته وحده ابن الله دون سائر البشر ، لأنه لم يقم بينهم قط من استطاع أن يأتى الأعمال التى عملها كلمة الله .

٥ ــ وان انحرفوا الى الأرواح الشريرة وجب أن يدركوا بعد أن رأوا « الكلمة » يطردها ، أنه وحده هو الله ، وأن تلك الأرواح لا شيء .

---

(١) أو «وجذب نحوه احساسات كل البشر» حسب النص الحرفى ، أو «واحس بما يحس به كل واحد» حسب رأى البعض .
(٢) أى « ذا جسد » .
(٣) أو « يستنتجوا » حسب النص الحرفى .

٦ ــ وان انحدرت عقولهم فوصلت الى الأموات ، حتى عبدوا الأبطال والآلهة التى تحدث عنها الشعراء ، وجب بعد أن رأوا قيامة المخلص ، أن يعترفوا أن تلك آلهة كاذبة ، وأن الرب وحده هو الاله الحق ، كلمة الآب ، وهو رب الموت أيضا •

٧ ــ لهذا السبب ولد وظهر كانسان ، ومات ، وقام ثانية بعد أن غطى بأعماله كل أعمال البشر الذين سبقوه ، حتى اذا ما اتجهت أفكار البشر الى أية ناحية استطاع أن يستردهم من هذه الناحية ويعلمهم عن أبيه الحقيقى ، كما يقول عن نفسه : « أنا قد جئت لكى أطلب وأخلص ما قد هلك[1] » •

---

(١) لوقا ١٩ : ١٠ •

# الفصل السادس عشر

اذا فقد جاء لكى يجذب أنظار البشر الحسية اليه كانسان ، وبذلك يقودهم لكى يعرفوه كاله .

١ ــ لأنه اذ انحط فكر البشر نهائيا الى الأمور الحسية فقد توارى « الكلمة » بظهوره فى الجسد ، لكى يستطيع كانسان أن ينقل البشر الى ذاته ، ويركز احساساتهم فى شخصه واذ يتطلع اليه البشر كانسان ، فانه يقنعهم بالأعمال التى عملها أنه ليس مجرد انسان بل هو اله أيضا ، وكلمة الله الحق وحكمته

٢ ــ وهذا أيضا هو ما قصد أن يشير اليه « بولس » اذ يقول « وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو الطول والعرض والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة ، لكى تمتلئوا الى كل ملء الله[١] » .

٣ ــ لأن كل الأشياء امتلأت من معرفة الله باعلان « الكلمة » نفسه فى كل ناحية ــ فوق وتحت ، فى العمق

---

(١) افسس ٣ : ١٧ ــ ١٩ .

والعرض • أما « فوق » ففى الخليقة ، و « تحت » فى التأنس ، وفى « العمق » ( بنزوله ) الى الجحيم ، وفى « العرض » أى فى العالم • لقد امتلأت كل الأشياء من معرفة الله •

٤ ـ ولهذا السـبب أيضا فانه لم يتمم ذبيحته عن الكل بمجرد مجيئه مباشرة بتقديم جسده للموت واقامته ثانية ، لأنه لو فعل ذلك لجعل ذاته غير ظاهرة • ولكنه صير نفسـه ظاهرا جدا بالأعمال التى صنعها وهو فى الجسد • بهذه الأعمال التى عملها ، والعلامات التى أظهرها ، لم يعد معروفا بعد كانسان ، بل كالله « الكلمة » •

٥ ـ لأن المخلص بتأنسه تمم عمليتى المحبة ( أولا ) برفع الموت عنا ، وتجديدنا ثانية ( ثانيا ) باعلان نفسه وتعريف ذاته بأعماله بأنه كلمة الآب ، مدبر وملك الكون ، اذ كان غير ظاهر ولا منظور •

# الفصل التاسع عشر

كيف أن التجسد لم يحد من وجود « الكلمة » في كل مكان ، ولم ينقص من طهارته . ( تشبيه بالشمس ) .

١ ـ فلا يتوهمن أحد أنه أصبح محصورا[1] فى الجسد ، أو أن كل مكان آخر أصبح خاليا منه بسبب حلوله فى الجسد أو أن العالم أصبح محروما من عنايته وتدبيره طالما كان يحرك الجسد . ولكن ما يدعو الى الغرابة والدهشة أنه ، وهو « الكلمة » الذى لا يحويه مكان ، فانه هو نفسه يحوى كل الأشياء ، وبينما كان حاضرا فى كل الخليقة فقد كان يتميز عن سائر الكون فى الجوهر[2] ، وحاضرا فى كل الأشياء بقدرته ، ضابطا كل الأشياء ، ومظهرا عنايته فوق كل شىء ، وفى كل شىء ، وواهبا الحياة لكل شىء ، ولكل الأشياء ، مالئا الكل ، دون أن يحد ، بل كائنا فى أبيه وحده كليا .

---

(١) أو « مغلقا عليه » حسب بعض الترجمات .

(٢) أى انه اذا كان موجودا فى الخليقة كان موجودا متميزا ولم يكن من الخليقة ويمكن التمييز بينه وبين الكون الذى يملأه .

٢ ــ وهكذا حتى مع حلوله فى جسـد بشرى واهبا اياه الحياة ، فقد كان يمنح الحياة للكون فى نفس الوقت بلا تناقض وكان حاضرا فى كل عملية من عمليات الطبيعة وهو خارج الكل ، ومع أنه كان معروفا من أعماله التى عملها فى الجسد ، كان فى نفس الوقت ظاهرا أيضا فى أعمال الكون •

٣ ــ والآن ، ان كانت وظيفة النفس أن تدرك حتى الأشياء الخارجة عن جسدها بقوة الفكر ، فانها لا تستطيع أن تعمل خارج نطاق جسدها ، أو تحرك بنفسها الأشياء البعيدة عن الجسد • أى أنه لن يستطيع انسان أن يحرك الأشياء البعيدة ، أو ينقلها من مكانها ، بمجرد التفكير فيها • كما أنه لن يستطيع انسان ، وهو جالس فى بيته أن يحرك الشمس ، أو يجعل السماء تدور ، بمجرد التفكير فى الأجرام السماوية • ولكنه انما يراها تتحرك وتوجد دون أن يكون له أى تأثير عليها •

٤ ــ أما كلمة الله فى طبيعة تأنسه ، فلم يكن كذلك ، اذ لم يكن محصورا فى جسده ، لكنه كان بالحرى يستخدم الجسد ، ولذا فانه لم يكن حالا فيه فحسـب ، بل كان حالا فعلا فى كل شيء • وبينما كان خارج الكون فقـد كان فى أبيـه وحـده مستقرا •

٥ ــ وهذا هو وجه الغرابة أنه بينما كان يتصرف كانسان ، كان كلمة الله يحيى كل الأشـياء ، وكابن كان قائما مع أبيه •

ولذلك عندما ولدته العذراء لم يعتره أى تغيير ، ولا تدنس[1] بحلوله فى الجسد ، بل بالعكس انه قدس الجسد أيضا .

٦ ــ وعندما كان فى العالم لم يشاركه فى طبيعته[2] ، بل بالعكس استمدت منه كل الأشياء الحياة والقوت .

٧ ــ لأنه ان كانت الشمس التى خلقها هو والتى نراها ، وهى تدور فى السماء ، لا تتدنس بمجرد لمسها الأجساد التى على الأرض ، ولا تنطفىء بظلماتها ، ولكنها بالعكس تنيرها وتظهرها أيضا ، فبالأولى جدا كلمة الله الكلى القداسة ، بارىء الشمس وربها ، لم يتدنس قط بمجرد ظهوره فى الجسد ، بل بالعكس ، لأنه عديم الفساد ، فقد أحيا وطهر الجسد الذى كان فى حد ذاته قابلا للفناء ، لأنه قبل : « الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر[3] » .

---

(١) وفى بعض الترجمات « احتجب مجده » .

(٢) « لم يستمد منه شيئا » حسب بعض الترجمات .

(٣) ١ بطرس ٢ : ٢٢ .

# الفصل الثامن عشر

كيف عمل كلمة الله وقوته فى أعماله البشرية ، باخراج الشياطين ، وبالمعجزات ، وبميلاده من العذراء .

١ ـ لهذا فان الكتاب الذين كتبوا بارشاد الروح القدس عن هذا الأمر ، عندما تحدثوا عنه بأنه أكل أو بأنه ولد ، فانهم يقصدون أن الجسد كجسد ولد ، وهو الذى كان يقتات بالطعام المناسب لطبيعته . أما الله ، « الكلمة » نفسه ، الذى اتحد بالجسد ، فبينما كان يضبط كل الأشياء ، كان أيضا يظهر بأعماله التى عملها فى الجسد أنه لم يكن انسانا ، بل كان الله « الكلمة » . أما هذه الأمور فانها تذكر عنه ، لأن الجسد الفعلى ـ الذى أكل ، وولد وتألم لم يكن الا جسد الرب نفسه ، ولأنه اذ تأنس ، كان من اللائق أن تنسب هذه الأمور اليه كانسان ، لكي يتبين أنه أخذ جسدا بالحق لا بالخيال .

٢ ـ وكما أنه بواسطة هذه الأمور عرف أنه حاضر بالجسد ، كذلك أعلن نفسه بواسطة الأعمال التى عملها فى الجسد أنه ابن الله . لهذا هتف لليهود غير المؤمنين « ان كنت لست أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى ، ولكن ان كنت أعملها

فان لم تؤمنوا بى فآمنوا بأعمالى لكى تعرفوا وتفهموا[1] أن الآب فى وأنا فى الآب[2] » .

٣ ــ وكما أنه يعرف من أعمال الخليقة ولو كان غير منظور ، هكذا اذ تأنس يمكن أن يعرف من أعماله ــ وهو غير منظور فى الجسد ــ بأن من يعملها لا يمكن أن يكون انسانا بل قوة الله وكلمته .

٤ ــ فطرده الأرواح الشريرة ، وخروجها فى الحال ، لا يمكن أن يكونا عمل انسان بل عمل الله . ومن ذا الذى بعد أن رآه يشفى الأمراض ، الخاضع لها الجنس البشرى ، يتجاسر ويقول انه لا يزال انسانا وليس الها ؟ فقد طهر البرص ، وجعل العرج يمشون ، والصم يسمعون ، والعمى يبصرون ، وباجمال طرد من كل البشر كل مرض وكل ضعف . من كل هذه كان ممكنا لأبسط انسان أن يرى لاهوته . لأنه من ذا الذى يراه يرد للانسان ما نقصه منذ ولادته ، ويفتح عينى الأعمى منذ ولادته ، ولا يدرك أن طبيعة البشر كانت خاضعة له ، وأنه هو صانعها وبارئها . لأنه واضح جدا أن من رد للانسان ما كان ينقصه منذ ولادته ، لابد أن يكون أيضا رب ميلاد البشر الطبيعى[3] .

---

(١) « وتؤمنوا »  (٢) « وأنا فيه » يوحنا ١٠ : ٣٧ ، ٣٨ .
(٣) « رب تكوين البشر » حسب بعض الترجمات .

٥ ــ ولذلك فانه ، وهو نازل الينا ، صور لنفسه جسدا من عذراء ، لكى يقدم للجميع برهانا قويا على لاهوته ، باعتبار أن من صور هذا الجسد هو أيضا مكون سائر الأشياء . لأنه من ذا الذى يرى جسدا يخرج من عذراء وحدها بدون رجل ، ولا يدرك أن من ظهر فيه لابد أن يكون صانع ورب باقى الأجساد أيضا .

٦ ــ أو من ذا الذى يرى مادة الماء تتحول خمرا ولا يدرك أن من فعل هذا لابد أن يكون هو رب وصانع مادة كل المياه ؟ ولأجل هذه الغاية أيضا مشى على المياه كسيدها ؟ ومشى كما على أرض ناشفة ، لكى يقدم لمن رآه برهانا على سلطانه على كل الأشياء . وعندما أطعم جمعا غفيرا من قليل ، ومن تلقاء ذاته قدم الكثير من العدم ، فأكل خمسة آلاف نفس من خمسة أرغفة وشبعوا وفضل عنهم الكثير ، ألم يظهر ذاته بأنه هو الرب نفسه الذى يشمل كل الأشياء بعنايته ؟

# الفصل التاسع عشر

واذ لم تكف الطبيعة للتأثير على الانسان كان يجب ان يتعلم معرفة الله من ناسوت المسيح القدس ، حيث أعترفت كل الطبيعة بلاهوته خصوصا عند موته .

١ ــ كل هذا قد سر المخلص أن يفعله ، حتى بعد ما عجز البشر عن ادراك عنايته المعلنة فى الكون ، أو عن ادراك لاهوته المعلن فى الخليقة ، يستطيعون على أى حال أن يستردوا بصيرتهم من أعمال جسده ، ويحصلوا بواسطته على معرفة الآب . ويتبينوا ــ كما قلت ــ من بعض حالات خاصة ، عنايته بالكل .

٢ ــ لأنه من ذا الذى يرى سلطانه على الأرواح النجسة أو من ذا الذى يرى الأرواح النجسة تعترف بأنه هو ربها ، ويشك بعد ذلك فى أنه هو ابن الله وحكمته وقوته ؟

٣ ــ لأنه جعل حتى الخليقة تخرج عن صمتها . أليس مدهشا أن تذكر أنه حتى فى موته ، أو بالحرى فى انتصاره الفعلى فى الموت ، أعنى فى الصليب ، اعترفت كل الخليقة بأن من ظهر وتألم فى الجسد لم يكن مجرد انسان بل ابن الله ومخلص

الكل ؟ فالشمس أخفت وجهها ، والأرض تزلزلت ، والجبـال تشققت ، وسادت كل البشر رهبة شـديدة • كل هذه الأمور بينت أن المسـيح الذى على الصليب هو الله ، اذ صارت كل الخليقة خاضعة له خضـوع العبيد ، وشـهدت برعبها وفزعها لحضور سـيدها • وهكذا أعلن الله « الكلمة » نفسـه وقتئذ للبشر بأعمال •

ان الخطوة التالية لنا فى هذا البحث هى أن نتأمل ونتحدث عن نهاية حياته بالجسد ، وعن طبيعة موت جسده ، سيما وأنه فى هذا يتلخص ايماننا ، وهذا هو الشغل الشاغل لأفكار الجميع بلا استثناء ، حتى يتضح لك يقينا أن المسيح هو الله وابن الله •

# الفصل العشرون

اذن فلن يستطيع أحد أن يهب عدم الفساد الا الخالق ، ولن يستطيع أحد ان يرد مثال الله الا صورته ، ولن يستطيع أحد أن يحيي الا رب الحياة ، ولن يستطيع أحد أن يعلم الا الكلمة . وهو — لكى يفى دين الموت الذى علينا كان لابد أن يموت عنا ايضا ويقوم ثانية كباكورة لنا من بين الأموات . اذن كان يجب ان يكون جسده قابلا للموت ، وان يكون فى نفس الوقت غير فاسد .

١ — لقد أوضحنا جزئيا — على قدر الاستطاعة وعلى قدر ما أمكننا فهمه — سبب ظهوره فى الجسد ، أنه لم يكن ممكنا أن يحول الفاسد الى عدم فساد الا المخلص نفسه ، الذى خلق من البداية كل شيء من العدم ، ولم يكن ممكنا أن يعيد للبشر صورة الله ومثاله الا صورة الآب ، ولم يكن ممكنا أن يلبس المائت عدم الموت الا ربنا يسوع المسيح الذى هو الحياة ، ولم يكن ممكنا أن يعلم البشر عن الآب ، ويقضى على عبادة الأوثان الا « الكلمة » الضابط الكل ، الذى هو ابن الآب الوحيد الحقيقى .

٢ — ولكن لما كان ضروريا أيضا وفاء الدين المستحق على

الجميع ، لأنه ــ كما بينت سابقا[١] ــ كان الجميع مستحقين الموت ، الأمر الذى من أجله ــ كسبب جوهرى حقيقى ــ أتى المسيح بيننا ، لأجل هذه الغاية • وبعد تقديم البراهين الكثيرة عن لاهوته بواسطة أعماله ــ قدم ذبيحة نفسه أيضا عن الجميع اذ سلم هيكله للموت عوضا عن الجميع ، أولا لكى يحرر البشر من معصيتهم القديمة ، وثانيا لكى يظهر أنه أقوى من الموت ، باظهاره أن جسده عديم الفساد كباكورة لقيامة الجميع •

٣ ــ ولا تتعجب ان كنا نكرر مرارا نفس الكلمات فى نفس الموضوع[٢] ، لأننا ما دمنا نتحدث عن مشورة الله ، وجب علينا توضيح المعنى الواحد على وجوه مختلفة ، لكى لا يظن بنا أننا تركنا ناحية من النواحى كأننا نتكلم عن عجز وتقصير لأنه خير لنا أن نعرض للوم والانتقاد بسبب التكرار من أن نترك ناحية من النواحى كان يجب تفصيلها •

٤ ــ وما دام الجسد قد اشترك فى ذات الطبيعة مع الجميع لأنه كان جسدا بشريا ، وان كان قد أخذ من عذراء فقط بمعجزة فريدة ، فكان لابد أن يموت أيضا كسائر البشر نظرائه ،

---

(١) انظر الفصل السابع .

(٢) انظر فصل ٨ : ٤ و ١٠ : ٥ الخ . قال أحد الكتاب : « من خواص أثناسيوس أن يكرر الكلام وأن يعتذر عن التكرار » .

لأنه كان جسدا قابلا للموت • ولكنه بفضل اتحاده «بالكلمة» ، لم يعد خاضعا للفســـاد بمقتضى طبيعته ، بل خرج عن دائرة الفساد بسبب الكلمة الذى أتى ليحل فيه •

٥ ــ وهكذا تم عملان عجيبان فى الحـــال : أولهما اتمام موت الجميع فى جســد الرب • والثــانى القضاء على الموت والفساد كلية بفضل اتحاد الكلمة بالجسد • لأنه كان لابد من الموت ، وكان لابد أن يتم الموت نيابة عن الجميع ، لكى يوفى الدين المستحق على الجميع •

٦ ــ ولما كان مستحيلا ــ كما قدمت ســابقا أن يموت « الكلمة » لأنه غير قابل للموت ، فقد أخذ لنفسه جسدا قابلا للموت ، حتى يمكن أن يقدمه كجسده نيابة عن الجميع ، وحتى اذا ما تألم نيابة عن الجميع باتحاده بالجسد « يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى ابليس ويعتق أولئك الذين خوفا من الموت كانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية[١] » •

---

(١) عبرانيين ٢ : ١٤ و ١٥

# الفصل الحادي والعشرون

لقد ابيد الموت بموت المسيح . ولكن لماذا لم يمت المسيح سرا ، او بكيفية أكثر وقارا واحتراما ، انه لم يكن خاضعا للموت الطبيعي ، بل كان لابد ان يموت بأيدى غيره . ولماذا مات اذن ، نعم انه لاجل هذا اتى ، ولاجل هذا وحده . والا فلم يكن ممكنا ان يقوم من بين الاموات .

١ ــ والآن ، اذ مات عنا مخلص الجميع ، فاننا نحن الذين بالمسيح لا نموت بعد ، كما كانوا قديما حسب وعيد الناموس ، لأن هذا الحكم قد بطل . واذ بطل الفساد ، وأبيد بنعمة القيامة ، فاننا من ذلك الوقت انما نتحل وفقا لطبيعة أجسادنا الفانية ، فى الوقت الذى حدده الله لكل واحد ، حتى يمكن أن ننال قيامة أفضل .

٢ ــ لأننا ــ كالبذور التى تلقى فى الأرض ــ لا نهلك بانحلالنا ، بل نزرع فى الأرض لنقوم ثانية ، اذ أبيد الموت بنعمة القيامة[١] للجميع « لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت . ومتى لبس هذا الفاسد عدم

---

(١) أو « صار كفيل ( أو ضامن ) القيامة » .

فساد ، ولبس هذا المائت عدم موت ، فحينئذ تصير الكلمة ابتلع الموت الى غلبة. أين شوكتك ياموت ، أين غلبتك ياهاوية[1] » .

٣ ــ ولعل متسائلا يقول : ان كان لابد له أن يسلم جسده للموت نيابة عن الجميع ، فلماذا لم يضع هذا الجسد كأى انسان سرا عوضا عن أن يشهر به الى هذا الحد ويموت مصلوبا ، انه كان أكثر لياقة أن يسلم جسده بكرامة ووقار من أن يحتمل موتا مشينا كهذا .

٤ ــ وردا على هذا أقول ان اعتراضا كهذا ، لا يمكن الا أن يكون بشريا ، بينما ما فعله المخلص هو الهى حقا ، ولائق بلاهوته لأسباب كثيرة . أولا أن الموت الذى يصيب البشر يأتيهم لأنه يتناسب مع ضعف طبيعتهم ، فانهم اذا لا يستطيعون البقاء على حال واحدة ، لكنهم ينحلون مع الزمن ، بسبب هذا أيضا تنتابهم الأمراض ثم يموتون . أما الرب فانه ليس ضعيفا ، بل هو قوة الله ، وكلمة الله ، وهو الحياة عينها .

٥ ــ ولو أنه أسلم جسده فى مكان ما سرا ، وعلى فراش كعادة البشر ، لاعتبر بأنه فعل ذلك أيضا نظرا لضعف طبيعته ، ولأنه لم يكن فيه ما يميزه عن سائر البشر . أما وأنه أولا كان

---

(١) ١ كورنثوس ١٥ : ٥٣ ــ ٥٥ .

الحياة وكلمة الله ، وثانيا كان من الضرورى أن يتم حكم الموت نيابة عن الجميع ، لهذا نال الجسد منه قوة لأنه هو القوة ، وهو الحيـــاة .

٦ ــ هذا من جهة ، ومن الجهة الأخرى ، فما دام الموت لابد أن يتم ، فانه لم يسع بنفســـه الى الفرصة التى بها يتمم ذبيحته ، بل قبلها من أيدى الآخرين . لأنه لم يكن لائقا أن يرقد الرب فى فراش المرض وهو الذى شفى أمراض الآخرين ، ولم يكن لائقـــا أن تنحل قوة ذلك الجسد الذى به قوى ضعفات الآخرين .

٧ ــ ولماذا لم يتجنب الموت كما تجنب المرض ؟ ذلك لأنه لهذا اتخذ الجسد ، ولم يكن لائقـــا أن يمنع الموت لئلا تمتنع القيامة أيضا . كما أنه لم يكن لائقا أن يسبق المرض موته لئلا ينسب الضعف لذاك الذى كان فى الجسد . ولكن ألم يكابد الجوع ؟ نعم انه جاع كما يليق بخواص جسده ، على أنه ( أى الجسد ) ، لم يمت من الجوع من أجل الرب الذى لبسه . لهذا فانه وان كان قد مات لفداء الجميع ، لكنه لم ير فسادا . لأن جسده قام ثانية سليما جدا ، اذ لم يكن سوى جسد ذاك الذى هو الحياة ذاتها .

# الفصل الثاني والعشرون

ولماذا لم يحفظ جسده من اليهود فيمنع عنه الموت ؟ (١) لأنه لم يكن يليق به أن يوقع الموت على نفسه أو أن يتجنبه (٢) لأنه أتى ليقبل الموت الذى استحق على الآخرين ، لهذا كان يجب أن يكون أكيدا ليضمن حقيقة قيامته ، وأيضا لأنه لم يكن ممكنا أن يموت بسبب الضعف ، لئلا يهزأ به فى شفاء الآخرين .

١ ــ ولعل أحدا يقول : كان الأفضل أن يختفى من مؤامرات اليهود لكى يحفظ جسده بالكلية من الموت . فليسمع مثل هذا أن ذلك أيضا لم يكن لائقا بالرب . لأنه كما لم يكن لائقا بكلمة الله ــ وهو الحياة ــ أن يوقع الموت على جسده بنفسه ، كذلك لم يكن لائقا أن يهرب من الموت الذى يأتى به الآخرون ، بل بالحرى أن يتابعه حتى النهاية . ولهذا السبب فانه بطبيعة الحال لم يسلم جسده من تلقاء ذاته ، كما أنه لم يهرب من اليهود عندما تآمروا ضده .

٢ ــ على أن ذلك لم يبين ضعف « الكلمة » ، بل بالعكس أكد أنه هو المخلص وهو الحياة ، لأنه أولا انتظر الموت ليبيده ، وثانيا عجل باتمام الموت المقدم اليه لأجل خلاص الجميع .

٣ ــ وفضلا عن ذلك فان المخلص لم يأت لكى يتمم

موته هو ، بل موت البشر[1] لذلك لم يضع جسده بموت أتى به من نفسه[2] لأنه هو الحياة ، ولم يكن قابلا للموت ، بل قبل الموت الذى أتاه من البشر ، لكى يبيده نهائيا عندما يلتقى به فى جسده .

٤ ــ ومما يلى أيضا ، يستطيع المرء أن يدرك أن جسد الرب كان يليق به أن يتمم هذه الغاية . فالرب كان مهتما بصفة خاصة بقيامة الجسد التى كان معتزما أن يكملها . لأنه كان يريد أن يقدمها كدليل على انتصاره على الموت ، ويؤكد للجميع أنه أزال كل أثر للفساد ، ومن ثم منح أجسادهم عدم الفساد من ذلك الحين ، ولهذا حفظ جسده غير فاسد كضمانة وبرهان على القيامة التى تنتظر الجميع .

٥ ــ ومرة أخرى نقول انه لو كان جسده قد تعرض للمرض ، وانفصل عنه « الكلمة » أمام نظر الجميع ، لكان غير لائق بمن شفى أمراض الآخرين أن يسمح لآنيته أن تموت بالمرض . فكيف يصدق اذن فى شفائه الأمراض[3] لو كان هيكله قد تعرض للمرض[4] » لأنه اما أن يهزأ به كأنه لا قدرة له على شفاء الأمراض ، أو ، ان كان قادرا ولم يفعل شيئا ( ليرد المرض عن جسده ) ، ظن به أنه عديم الشفقة على الآخرين أيضا .

---

(١) اى الموت عن البشر (٢) أنظر يوحنا ١٠ : ١٧ و ١٨ .
(٣) متى ٢٧ : ٤٢ . (٤) أى مع أنه مدعم باتحاده به .

# الفصل الثالث والعشرون

ضرورة الموت علانية لأجل عقيدة القيامة .

١ ــ وحتى لو كان قد أسلم جسده سرا ، ومن تلقاء ذاته بدون مرض ولا ألم ، « فى زاوية[١] » أو فى بيداء أو منزل أو فى أى مكان ، وبعد ذلك ظهر بغتة وقال انه قام من الأموات ، لخيل للجميع أن كلامه كالهذيان[٢] ، ولما صدقوا كلمة واحدة مما قاله عن القيامة ، لأنه لم يكن هنالك من يشهد عن موته . والآن يجب أن يسبق الموت القيامة ، لأنه لا يمكن أن تكون قيامة ما لم يسبقها الموت . ولو كان موت جسده قد تم سرا فى أى مكان ، ولم يكن ظاهرا ، ولم يتم أمام شهود ، لكانت قيمته أيضا قد اختفت ولم يقم لها دليل .

٢ ــ ولماذا يسمح أن يكون موته سرا ان كان بعد أن قام أعلن قيامته للملأ ؟ وان كان قد طرد الأرواح الشريرة أمام الجميع ، وفتح عينى الأعمى منذ ولادته ، وحول الماء خمرا ،

---

(١) أعمال ٢٦ : ٢٦ .
(٢) لوقا ٢٤ : ١١ .

حتى يؤمن الجميع بهذه الوسـائط بأنه هو كلمة الله ، فلماذا لا يعلن أمام الجميع عدم فساد جسده ليؤمنوا بأنه هو الحياة ؟

٣ ــ وكيف كان ممكنا أن يجسر تلاميذه على التحدث عن القيامة ان لم يستطيعوا القول أنه مات أولا ؟ وكيف كان ممكنا أن يصدق كلامهم بأن الموت تم أولا ثم القيامة ان لم يوجد بين من يكلمونهم بجرأة من يشـهد بموته ؟ فرغما عن أن الموت والقيامة قد حدثا أمام الجميع فان الفريسيين فى ذلك الوقت لم يؤمنوا بل أكرهوا حتى الذين شـهدوا القيامة على انكارها • ولو أن هـذه الأمور تمت سرا ، فما أكثر الحجج التى كانوا يخترعونها دفاعا عن عدم ايمانهم •

٤ ــ وكيف كان ممكنا اقامة الدليل على تحقيق غاية الموت وغلبته ، ما لم يكن قد تحداه أمام أعين الجميع ، وأظهـر بأنه ميت ، وبأن شوكته فى المستقبل قد أبطلت ، وذلك بعدم فساد جسده ؟

# الفصل الرابع والعشرون

الرد على بعض اعتراضات أخرى . انه لم يختر طريقة موته لأنه كان يجب أن يبرهن على انه قاهر للموت فى كل صوره وأشكاله . مثل المصارع القوى . الموت الذى أختير للامعان فى تحقيره برهن على نصرته عليه . وفوق ذلك حفظ جسده سليما غير مقسم .

١ — ونراه ضروريا أن نرد مقدما على ما قد يعترض به الآخرون ، فقد يقول قائل : ان كان لابد أن يتم موته أمام الجميع ، وبشهادة الشهود ، لكى تصدق رواية قيامته ، فكان الأفضل على أى حال أن يدبر لنفسه موتا مجيدا تخلصا من عار الصليب .

٢ — ولكن حتى لو فعل هذا ، لأعطى فرصة للتشكك فى شخصه ، بأنه لم يكن يقوى على كل موت ، بل على الموت الذى اختاره لنفسه[١] فقط ، ولوجدت هنالك فى نفس الوقت علة لعدم الايمان بالقيامة أيضا . لهذا أتى الموت الى جسده ، ليس باختياره هو ، بل بمشورة أعدائه ، حتى اذا ما أتوه بأى شكل من الموت استطاع أن يبيده كلية .

---

(١) « أختير له » حسب بعض الترجمات .

٣ ــ وكما أن المصارع النبيل ، مهما كان مقتدرا فى الذكاء والشجاعة ، لا يختار خصومه الذين يبارزهم ، لئلا يشك فى أنه يرهب أشخاصا معينين منهم ، بل يترك الاختيار للمشاهدين ، سيما اذا اتفق بأن يكونوا أعداءه ، حتى اذا ما اختاروا أيا كان استطاع أن ينتصر عليه ، فيؤمن الكل بأنه قد بز الجميع ، كذلك الحال أيضا مع ربنا ومخلصنا يسوع المسيح حياة الجميع فانه لم يختر لجسده موتا معينا ، لئلا يظن بأنه خشى شكلا آخر من الموت ، ولكنه قبل موت الصليب ، واحتمل الموت الذى أوقعه عليه الآخرون ، سيما أعداؤه ، والذى ظنوه مرعبا ومحقرا ولا يمكن التغلب عليه ، حتى اذا ما أباد ذلك الموت أيضا ، آمن الجميع بأنه هو الحياة ، وأبيد سلطان الموت نهائيا •

٤ ــ وهكذا تم أمر عجيب ومدهش ، لأن الموت الذى اختاروه له ، للمبالغة فى تحقيره ، كان بالذات علامة للانتصار على الموت نفسه • ولهذا لم يمت موت « يوحنا » بقطع رأسه وفصلها عن جسده ، ولا مات موت « اشعياء » بنشر جسده وشطره نصفين ، وذلك لكى يحفظ جسده سليما غير مجزأ حتى فى موته ، ولكى لا تعطى حجة للذين يريدون تجزئة الكنيسة وانقسامها •

# الفصل الخامس والعشرون

ولماذا تم الموت بالصليب من بين كل انواع الموت ؟
(١) لأنه كان يجب ان يحمل عنا اللعنة (٢) لأنه بسط يديه على الصليب لكى يوحد الجميع ــ اليهود والأمم ــ فى شخصه (٣) لأنه انتصر على « رئيس سلطان الهواء » فى منطقته ، مخليا الطريق الى السماء ، وفاتحا لنا الأبواب الدهرية .

١ ــ وهكذا نستطيع أن نجد اجابات كثيرة ردا على الذين هم من الخارج ، الذين يكدسون الاحتجاجات لأنفسهم . وان قام من شعبنا من يتساءل ــ ليس حبا فى الجدل والمحاورة ، بل حبا فى العلم والمعرفة ، لماذا لم يمت بأى شكل آخر غيرالصليب ، فليعلم بأنه لم تكن هناك طريقة أخرى أصلح لنا منها ، وأنه

٢ ــ لأنه ان كان قد أتى ليحمل عنا اللعنة الموضوعة علينا ، فكيف كان ممكنا أن يصير لعنة[١] ، ما لم يمت موت اللعنة الذى هو الصليب . لأن هذا هو المكتوب تماما « ملعون كل من علق على خشبة[٢] » .

---

(١) غلاطية ٣ : ١٣ (٢) غلاطية ٣ : ١٣ ، تثنية ٢١ : ٢٣

٣ ـ وأيضا ان كان موت الرب قد صار كفارة عن الجميع وبموته نقض حائط السياج المتوسط[١] ، وصارت الدعوة لجميع الأمم ، فكيف كان ممكنا أن يدعونا اليه لو لم يصلب ؟ لأنه لا يمكن أن يموت انسان وهو باسط ذراعيه الا على الصليب . لهذا لاق بالرب أن يحتمل هذا الموت ويبسط يديه ، حتى باليد الواحدة يجتذب الشعب القديم ، وبالأخرى يجتذب الذين هم من الأمم ، ويتحد الاثنان فى شخصه .

٤ ـ هذا هو ما قاله بنفسه ، مشيرا الى أية ميتة كان مزمعا أن يفدى بها الجميع « وأنا ان ارتفعت عن الأرض أجذب الى الجميع[٢] » .

٥ ـ ومرة أخرى نقول : هوى من السماء ، الشيطان عدو جنسنا فانه يجول فى أجوائنا السفلية ، وفيها يتسلط على الأرواح زميلاته التى اشتركت معه فى المعصية ، ويحاول لا أن يغوى الذين ينخدعون بواسطة هذه الأرواح فحسب ، بل أن يعطل أيضا الذين يريدون أن يرتفعوا الى فوق . وعن هذا يقول الرسول : « حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية[٣] » مع أن الرب جاء ليطرح

---

(١) أفسس ٢ : ١٤ .
(٢) يوحنا ١٢ : ٣٢ .
(٣) أفسس ٢ : ٢ .

الشيطان الى أسفل ، ويطهر الجو ، ويهيىء لنـا الطريق المرتفع الى السماء « بالحجاب أي جسده » كما قال الرسول[1] ، وهذا يستلزم أن يكون بالموت . وبأى موت كان ممكنا أن يتم هذا الا بالموت الذى يتم فى الهواء ، أعنى بالصليب ؟ لأن من مات على الصليب هو وحده الذى يموت معلقا فى الهواء . لهذا كان لائقا جدا أن يموت المسيح هذا النوع من الموت .

٦ ـ واذ رفع هكذا طهر الهواء من خبث الشيطان ، ومن خبث الأرواح النجسـة بجميع أنواعها ، كما يقول : « رأيت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء »[2] ، وفتح طريقا جديدا للصعود الى السماء ، كما يقـول مرة أخـرى : « ارفعوا أيها الرؤسـاء أبوابكم وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات[3] » لأنه لم يكن « الكلمة » نفسه هو المحتـاج لانفتاح الأبواب ، اذ هو رب الكل ، كما أنه لم يكن أى شىء من خليقته مغلقـا فى وجه صانعه ، بل نحن الذين كنا فى حاجة الى ذلك ، نحن الذين حملنا فى جسده . لأنه كما قدم جسـده للموت عن الجميع . هكذا بجسده أيضا أعد الطريق للصـعود الى السموات مرة أخرى .

---

(١) عبرانيين ١٠ : ٢٠ (٢) لوقا ١٠ : ١٩ (٣) حسبما ورد بالترجمة السبعينية . اما الترجمة العادية « ارفعن ايتها الأرتاج رؤوسكن ، وارتفعن ايتهـا الأبواب الدهريات » مزمور ٢٤ : ٨
الرتج = الباب العظيم .

## الفصل السادس والعشرون

أسباب قيامته فى اليوم الثالث (١) لم تتم قبل ذلك لئلا يشك فى أنه مات موتا حقيقيا (٢) ولا بعد ذلك ( أولا ) لكى يحتفظ بسلامة جسده ( ثانيا ) لكى لا يعلق نفوس التلاميذ طويلا ، ( ثالثا ) لكى لا ينتظر حتى يتشتت الذين شهدوا موته ، أو تتلاشى من الذاكرة حقيقة الموت .

١ ـ اذن قد اتضح أن الموت الذى تم على الصليب من أجلنا كان لائقا وموافقا ، وأن الباعث له كان معقولا من جميع الوجوه ، ولعله من العدل أن تقرر أخيرا ، أنه لم تكن هنالك طريقة أخرى يتم بها خلاص الجميع الا بالصليب • لأنه حتى على الصليب ، لم يترك نفسه مستترا عن العيان • والأكثر من ذلك أنه بعد أن جعل الطبيعة تشهد بحضور بارئها ، لم يترك هيكل جسده يبقى طويلا ، بل حالما أظهر أنه مات ، باحتكاك الموت به أقامه فورا فى اليوم الثالث ، حاملا معه ـ كعلامة للظفر والغلبة على الموت ـ عدم الفساد ، وعدم امكانية التألم اللذين حصل عليهما جسده •

٢ ـ لقد كان فى استطاعته أن يقيم جسده بعد الموت مباشرة ، ويظهره حيا • ولكن المخلص ، بحكمة وبعد نظر ،

لم يفعل ذلك أيضا ، لئلا يقول أحد بأنه لم يمت على الاطلاق ، أو أن الموت لم يمسسه كلية ، لو أنه أظهر القيامة توا .

٣ ـ ولو كانت فترة موته وقيامته يومين فقط ، لما ظهر مجد عدم فساده هذا ، ولكى يؤكد موت الجسد ، بقى «الكلمة» يوما آخر متوسطا بين هذين اليومين ، وفى اليوم الثالث أظهره للجميع عديم الفساد .

٤ ـ اذن فلكى يقيم الدليل على موت الصليب ، أقام جسده فى اليوم الثالث .

٥ ـ ولئلا يكذب ان أقامه بعد مدة طويلة ، بعد أن يكون قد فسد كلية ، كأن يظن بأنه استبدله بجسد آخر ـ لأن الانسان بمرور الزمن قد يشك فيما سبق أن رآه ، وينسى ما قد تم فعلا ـ لهذا السبب لم يلبث أكثر من ثلاثة أيام ، كما أنه لم يعلق طويلا نفوس الذين سبق فأخبرهم عن القيامة .

٦ ـ ولكن اذ كانت أقواله ما زالت ترن فى آذانهم ، وكانت أبصارهم لا زالت شاخصة ، وعقولهم مفكرة حائرة ، واذ كان الذين قتلوه لا يزالون أحياء على الأرض ، وفى نفس المكان ، ويستطيعون أن يشهدوا بموت جسد الرب ، فقد أظهر

بن الله جسده ـ الذى كان قد مات ـ بعد فترة ثلاثة أيام غير مائت وعديم فساد ، فتبين للجميع أن الموت لم يصب الجسد بسبب أى ضعف طبيعى « للكلمة » الذى حل فيه ، بل لكى يباد الموت فيه بقوة المخلص •

## الفصل السابع والعشرون

التغير الذى اتمه الصليب فى علاقة المـوت بالانسان .

١ ــ فان كان كل تلاميـذ المسـيح يحتقـرون الموت ، ويتحدونه ، ولا يعـودون بعد يخشونه ، بل بعلامة الصليب ، وبالايمان بالمسيح يدوسونه كميت ، كان هذا برهانا غير يسير ، بل بالحرى بينة واضحة ، على أن الموت قد أبيد ، وأن الصليب صارت النصرة عليه ، وأنه لم يعد له سـلطان ، بل مات موتا حقيقيا .

٢ ــ فقديما ــ قبل الظهور الالهى للمخلص ــ كان الموت مرعبا حتى للقديسين(١) ، وكان الكل ينـوحون على الأموات كأنهم هلكوا . أما الآن ، وقد أقام المخلص جسـده ، لم يعد الموت مرعبا بعد ، لأن كل الذين يؤمنون بالمسيح يدوسونه كأنه لا شىء ، ويفضلون أن يموتوا عن أن ينكروا ايمانهم بالمسيح . لأنهم يعلمـون يقينـا أنهم عنـد ما يموتون لا يهلكون ، بل يبدأون الحياة فعلا ، ويصبحون عديمى الفساد بفضل القيامة .

---

(١) انظر مزمور ٥٥ : ٤ ، ٨٩ : ٤٧ ، أيوب ١٨ : ١٤ .

٣ ــ أما ذلك الشيطان ، الذى بخبثه فرح بالموت قديما ، فانه الآن ، اذ انحلت أوجاعه ، قد بقى هو الوحيد الميت موتا حقيقيا . والدليل على ذلك أن الناس قبــل أن يؤمنوا بالمسيح يرون الموت مفزعا ومرعبا ، ويجبنون أمامه . ولكنهم عنــدما ينتقلون الى ايمان المسيح وتعاليمه ، يحتقرون الموت احتقارا عظيما ، لدرجة أنهم يسارعون اليه ، ويصيرون شهودا للقيامة التى انتصر بها المخلص عليه . وبينما تراهم لا يزالون فى عنفوان الشباب ، اذا بهم يسارعون الى الموت ، لا الرجال فقط ، بل النساء أيضا ، ويدربون أنفسهم بأنظمة جسدية للجهاد ضده . ووصل الضعف بالشيطان لدرجة أن النساء أنفسهن ، اللواتى قد خدعهن قديما ، يهزأن به الآن كميت ومنحل القوى .

٤ ــ وكما أنه عنــدما يغلب الظالم أمام ملك حقيقى ، وتوثق يداه ورجلاه ، يصبح هزأة لدى كل من يمر به ، ويحتقر ويزدرى به ، ولا يعود أحد يخشى غضبه أو وحشيته ، بسبب الملك الذى ظفر به ، كذلك الموت أيضا اذ قهره المخلص وشهر به على الصليب ، وأوثق يديه ورجليه ، فان كل الذين هم فى المسيح يدوسونه اذ يمرون به ، ويهزأون به شاهدين للمسيح ، ويسخرون منه مرددين ما قيــل عنه فى القــديم « أين غلبتك يا موت ، أين شوكتك يا هاوية[١] » .

---

(١) « أين شوكتك ياموت ، أين غلبتك ياهاوية » ١ كورنثوس ١٥ : ٥٥ ، هوشع ١٣ : ١٤ .

# الفصل الثامن والعشرون

اما هــذه الحقيقة الشــاذة فيجب امتحانها بالاختبار وعلى الذين يشكون فيها أن يصيروا مسيحيين .

١ ــ هل هذا برهان تافه على ضعف الموت ؟ أم هذا ايضاح ضئيل للنصرة التى نالها المخلص عليه ، ان كان الشبان والشابات الذين فى المسيح يحتقرون هذه الحياة ويرحبون بالموت ؟

٢ ــ فالانسان بطبيعته يرهب الموت ، ويفزع من انحلال الجسد . ولكن المدهش جدا أن من يتقــلد الايمان بالصليب يحتقر حتى ما هو مفزع بالطبيعــة ، ولا يرهب الموت اكراما للمسيح .

٣ ــ النار بطبيعتها محرقة . فكما أنه ان قال انسان هنالك مادة لا تخشى قوة النار المحرقة ، بل بالعكس تبرهن أنها ضعيفة ــ كما يقول الهنود عن الاسبستوس ــ ولم يصدق أى شخص هذه الرواية ، فمــا عليه ان أراد أن يختبرها الا أن يأتى بهذه المادة ويضعها فى النــار ، ليتأكد من الضعف الذى نسب الى النار(١) .

---

(١) أو « ليتأكد من ضعف النار أمام مادة الاسبستوس » كبعض الترجمات الأخرى .

٤ ــ أو ان أراد انسان أن يرى الظالم قد أوثق ، فما عليه الا أن يذهب الى مملكة ومنطقــة قاهره ومذلله ، فيرى ذلك الظالم المفزع للآخرين قد تذلل وصار ضعيفا ، هكذا أيضا ان وجد هنالك شخص مرتاب ، حتى بعد تلك البراهين الكثيرة ، وبعد استشهاد تلك الجماهير الغفيرة فى المسيح ، وبعد الاستهزاء بالموت الذى يبدو كل يوم ممن تلألأوا فى المسيح ، ان كان عقله لا يزال يشك فى أن الموت قد أبطل وأبيد ، فحســنا يفعل ان كان يدهش من أمر عظيم كهذا ، ولكن يجب أن لا يصر على عناده فى شــكوكه ، ولا يقسى قلبــه ويغلق بصيرته أمام أمر واضح كهذا .

٥ ــ بل كما أن الشخص الذى لديه مادة الاسبستوس هو الذى يدرك أن النار لا تقوى عليها ، وكما أن من يريد أن يرى الظالم العاتى قد تذلل وأوثق يذهب الى مملكة مذلله ، كذلك ليس على من يشك فى حقيقة غلبة الموت ، الا أن يقبــل ايمان المسيح ، وينتقل الى تعاليمه ، فيتحقق من ضــعف الموت ومن غلبته . فكثيرون ممن كانوا غارقين فى شــكوكهم مســتهزئين آمنوا فيما بعد ، فاحتقــروا الموت لدرجة أنهم استشهدوا من أجل المسيح .

# الفصل التاسع والعشرون

وهنا نرى نتائج وعلة كافية لهذه النتائج وهى الصليب ، كما ان اشراق الشمس هو علة النهار .

١ ــ والآن ان كان الموت يداس بعلامة الصليب وبالايمان بالمسيح ، فانه يتبين أمام محكمة الحق أنه ليس أحد آخر سوى المسيح نفسه ، قد أحرز الانتصار والغلبة على الموت ، وجعله يفقد كل قوته .

٢ ــ وان كان الموت ــ بعد أن كان سابقا قويا ومفزعا ــ يحتقر الآن بعد مجيء المخلص وموت جسده وقيامته ، فانه يتبين أنه قد أبيد ، وأن المسيح نفسه الذى صعد على الصليب قد قهره .

٣ ــ لأنه كما أن الشمس عندما تشرق بعد انتهاء الليل تستنير بها كل أقطار الأرض ، فمما لا شك فيه أن الشمس هى التى أرسلت نورها الى كل مكان ، وهى التى بددت الظلام وأضاءت كل شيء ، هكذا أيضا ان كان الموت قد احتقر وديس تحت الأقدام منذ ظهور المخلص فى الجسد بخلاصه ، وموته على

الصليب ، فيجب أن يكون واضحا تمام الوضـــوح ، أن نفس المخلص الذى ظهر فى الجسد هو الذى أباد الموت ، وهو الذى يظهر علامات الانتصار عليه كل يوم فى تلاميذه .

٤ ــ لأنه عندما يرى المرء أن البشر الضـــعفاء بطبيعتهم يصارعون الموت ، ويتهافتون عليـــه دون أن يخشـــوا عوامله المفسدة ، أو أن ينزعجوا من النزول الى الهاوية ، بل يتحـــدونه بحماس ، ودون أن يجزعوا من التعذيب ، بل بالعكس يصارعون الموت ، مفضلينه على الحياة على الأرض ، أو عندما يشاهد المرء بعينيه أن الرجال والنساء والأحداث[1] يقفزون الى الموت من أجل ديانة المسيح ، فمن هو ذلك الغبى المتشـــكك ، أو عديم العقل ، الذى لا يرى ولا يدرك أن المسيح ، الذى يشـــهد له البشر ، هو الذى يعضدهم بنفسه ، ويهب لكل واحد النصرة على الموت ، ملاشيا كل قواته فى كل من يتمسك بايمانه ، ويحمل علامة الصليب .

٥ ــ ومن ذا الذى يرى الحية مدوسة بالأقدام ، سيما وهو يعرف بطشها السابق ، ويشك فى أنهـــا قد ماتت وتلاشت كل قوتها ، الا اذا كان قد فقد توازنه العقلى ، وعدم حتى حواسه

---

(١) قرئت « والاطفال » .

الجسدية • ومن ذا الذى يرى أسدا يعبث به الأطفال ، ولايدرك أنه اما أن يكون قد مات أو فقد كل قوته ؟

٦ ـ وكما أنه من الممكن أن نرى بأعيننا صدق كل هذا ، هكذا أيضا ان كان الموت يعبث به المؤمنون بالمسيح ويحتقرونه ، وجب أن لا يشك أحد فيما بعد أو يبقى غير مصدق ، بأن المسيح قد أبطل الموت وأباده وأوقف فساده •

# الفصل الثلاثون

البرهان على حقيقة القيامة ببعض الوقائع
وهى (١) غلبة الموت كما تبين مما سبق (٢)
عجائب النعمة هى من عمل شخص حى هو الله
(٣) ان كانت آلهتهم حقيقة وحية ، كما يدعون ،
فان من ينتزع قواتها هو حى .

١ – اذا فان ما قررناه الى الآن ليس برهانا هينا على أن الموت قد أبطل ، وأن الرب هو علامة الانتصار عليه . أما عن قيامة الجسد الى عدم الموت ، التى أتمها عندئذ المسيح مخلص الجميع ، والحياة الحقيقية للجميع ، فان اثباتها بالوقائع أكثر وضوحا من اثباتها بالحجج والبراهين ، لمن سلمت بصيرتهم العقلية .

٢ – لأنه ان كان الموت قد أبطل ، كما بيننا فى أدلتنا السابقة ، وان كان الجميع قد وطئوه بأقدامهم بفضل نعمة المسيح ، فبالأولى جدا يكون هو نفسه قد وطئه بجسده أولا وأبطله . وان كان المسيح قد قتل الموت[١] ، فماذا كان ممكنا أن يحدث الا أن يقيم جسده . ويظهره كعلامة للنصرة على الموت ؟ كيف كان ممكنا اظهار ابادة الموت ما لم يكن جسد الرب

(١) « قهر الموت » كبعض الترجمات .

قد قام ؟ وان كانت هذه الأدلة على حقيقة القيـــامة تبدو لأى امرىء غير كافية لاقناعه ، فليتحقق ما قلنـــاه • أى مما يحدث أمام عينيه •

٣ ــ لأنه عند القبر • وان كان الانسان بموته تبطل قواه وينتهى نفوذه وسلطانه عند القبر • وان كانت الأعمال والنفوذ على البشر لا تخص الا الأحياء ، فلينظر كل من أراد ، وليكن شاهدا للحق مما يبدو أمام عينيه •

٤ ــ لأنه ان كان المخلص يعمل الآن أعمالا عظيمة كهذه بين البشر ، ولايزال كل يوم بكيفية غير منظورة ، يقنع الجماهير العديدة من كل ناحيـــة ، ســـواء من سكان اليونان أو البلاد الغـــربية ، ليقبلوا الى ايمانه ، ويطيع الجميع تعـــاليمه ، فهل لا يزال يوجد من يتطرق الشك الى عقـــله أن القيامة قد أتمها المخلص ، أو أن المسيح حى ، أو بالحرى أنه هو نفسه الحياة ؟

٥ ــ وهل يتاح لشخص ميت أن ينخس ضمائر البشر ، فيثوروا ضد نواميسهم الموروثة ، ويخضعوا لتعاليم المسيح وان كان المسيح لم يعد بعد عاملا متحركا ( كما يتفق مع خاصية الميت ) . فهل يستطيع أن يصد الأحياء عن حركاتهم وأعمالهم وحتى يكف الزانى عن الزنى ، والقاتل عن القتل ، والظالم عن الظلم والاغتصاب ، وحتى يصبح الدنس فيما بعد متدينا[1] ؟

---

(١) « والمنافق عن نفاقه » كبعض الترجمات . .

ولو أنه لم يقم • بل لا يزال ميتا ، فكيف يستطيع أن يطرد ويطارد ويحطم تلك الآلهة الكاذبة ، التي يقول الملحدون انها حية ، والأرواح الشريرة التي يعبدونها ؟

٦ ــ لأنه حيث ذكر اسم المسيح ، ونودى بايمانه ، انقشعت كل عبادة وثنية • وفضحت كل أضاليل الأرواح الشريرة • ولم يستطع أى روح أن يحتمل حتى الاسم ، بل يهرب ويختفى بمجرد سماع الاسم ، وهذا لا يمكن أن يكون عمل شخص ميت ، بل هو عمل شخص حى ، بل هو عمل الله •

٧ ــ ونحن بنوع أخص نقرر أنه من الحماقة القول بأن الأرواح التى بددها ، والأصنام التى أبطلها حية ، وان من طاردها ، وبسلطانه منعها حتى من الظهور ، ومن شهد له الجميع بأنه ابن الله ــ ميت •

# الفصل الحادي والثلاثون

ان كانت القوة علامة الحياة فماذا نتعلم من ضعف الاوثان وعجزها ، سواء عن فعل الخير او فعل الشر ، وماذا نتعلم من قوة المسيح الفائقة ومن قوة علامة الصليب ، اذن فقد اتضح من هذا البرهان أن الموت والارواح الشريرة فقدت سلطانها . اتفاق البرهان السابق المستقى من بعض الوقائع مع هذا البرهان المستقى من شخصية المسيح .

١ ــ على أن الذين ينكرون القيامة يقدمون حجة قوية ضد أنفسهم • ان كانت الأرواح والآلهة التى يعبدونها ، بدلا من أن تطرد المسيح الذى يدعون بأنه ميت ، قد برهن المسيح على العكس بأنها كلها ميتة •

٢ ــ وان كان حقا أن الميت لا يستطيع أن يبذل أى مجهود ، فى حين أن المخلص يتمم كل يوم أعمالا متعددة ، جاذبا البشر الى الديانة الطاهرة ، ومقنعا اياهم بضرورة التحلى بالفضيلة ، ومعلما اياهم حقيقة الخلود ، وباعثا فيهم الرغبة فى الأمور السماوية • ومعلنا لهم معرفة الآب ، ونافثا فيهم القوة لملاقاة الموت ، ومعلنا ذاته لكل واحد ، وملاشيا فجور العبادة

الوثنية ، بينما تعجز الآلهة والأرواح التى يعبدها غير المؤمنين أن تفعل شيئا من تلك الأمور ، بل بالعكس تظهر بأنها ميتة فى حضرة المسيح ، وتبدو عظمتها ضعفا وباطل الأباطيل ، بينما بعلامة الصليب يبطل كل السحر ، وتتلاشى كل قوات العرافة ، وتهجر كل الأوثان ، وتبطل كل الملذات غير المقدسة ، وتتحول أنظار الجميع من الأرض الى السماء ـ فمن ذا الذى يستحق أن يدعى ميتا ؟ هل المسيح الذى يتمم أعمالا كثيرة كهذه ونعلم أن الميت لا يعمل ؟ أم هو ذاك الذى لا يبذل أى مجهود مطلقا ، بل هو ملقى عديم الحياة ، الأمر الذى ينطبق على الأوثان والأرواح الشريرة لأنها ميتة ؟

٣ ـ لأن ابن الله حى وفعال(١) يعمل كل يوم ، ويتمم الخلاص للجميع . أما الموت ففى كل يوم يبرهن أنه فقد كل قوته ، والأصنام والأرواح الشريرة تبرهن على موتها ، وليس المسيح . لهذا لا يستطيع أى امرىء فيما بعد أن يشك فى قيامة جسده .

٤ ـ أما من لا يصدق قيامة جسد الرب ، فيظهر بأنه يجهل قوة كلمة الله وحكمة الله . لأنه ان كان قد اتخذ لنفسه جسدا ، وهيأه بحكمته الفائقة ليكون لائقا به كما بيننا فيما

---

(١) عبرانيين ٤ : ١٢ .

سبق ، فما الذى كان يصنعه الرب بذلك الجسد ؟ أو ماذا كان يمكن أن تكون نهاية الجسد اذ حل « الكلمة » فيه ؟ لأنه لم يكن ممكنا الا أن يموت ، اذ هو جسد قابل للموت ، ويقدم الى الموت عن الجميع . ولأجل هذه الغاية صوره المخلص لنفسه ، على أنه كان مستحيلا أن يبقى مائتا اذ صار هيكلا للحياة ، لهذا ، فاذا مات كجسد مائت ، عاد الى الحياة بفضل « الحياة » التى فيه ، وما الأعمال الا علامة لقيامته .

# الفصل الثاني والثلاثون

ومن ذا الذى كان يجب ان يراه وهو يقوم لكى يؤمن ؛ نعم ان الله غير منظور أبدا ومعروف بأعماله فقط . وهنا تنطق الأعمال لتقدم البرهان . ان كنت لا تؤمن فانظر الى من يؤمنون وابصر لاهوت المسيح . ان الأرواح الشريرة ترى هذا ولو طمست بصيرة البشر . ملخص للحجج السابقة الى الآن .

١ ــ ولكن ان كان لا يصدق أنه قد قام لأنه لا يرى ، لجاز لمن لا يصدقون أن ينكروا مجرى الطبيعة . لأن من خواص الله الغريبة أنه لا يرى . ومع ذلك فهو يعرف من أعماله كما بينا فيما سبق .

٢ ــ ولو لم توجد الأعمال لجاز لهم أن ينكروا ما هو غير ظاهر . أما ان كانت الأعمال تصرخ عاليا ، وتوضحه[1] جليا ، فلماذا يحبون أن ينكروا الحياة الناجمة بجلاء عن القيامة ؟ لأنه حتى ولو طمست بصيرة البشر فانهم بحواسهم الظاهرة يستطيعون أن يدركوا قوة المسيح ولاهوته ، اللذين لا يمكن أن يتطرق الشك اليهما .

---

(١) أى توضح ما هو غير ظاهر .

٣ ــ لأنه ان كان الأعمى لا يرى الشمس ، فانه عندما يحس الحرارة المنبعثة منها ، يدرك أن هناك شمسا فوق الأرض ، هكذا أيضا ان كان مقاومونا لا يؤمنون للآن لأنهم لا يزالون عميانا عن الحق ، فانهم على الأقل ، اذ يدركون قوة المسيح فى الآخرين الذين يؤمنون ، يجب ألا ينكروا لاهوته والقيامة التى أتمها .

٤ ــ وواضح أنه لو كان المسيح ميتا ، لما استطاع أن يطرد الأرواح النجسة ويحطم الأوثان . اذ الأرواح لا تخضع لانسان ميت ، أما ان كانت تطرد جهارا بمجرد ذكر اسمه ، فانه يتضح من ذلك أنه ليس ميتا ، سيما وأن الأرواح ــ وهى ترى ما لا يراه البشر ــ تستطيع أن تخبر ان كان المسيح ميتا ، وترفض الخضوع له على الاطلاق .

٥ ــ أما والأرواح ترى ــ ما لا يؤمن به الملحدون ــ أنه هو الله ، فانها تطير وتجثو تحت قدميه ، وتردد ما سبق أن نطقت به وهو فى الجسد : « نحن نعرفك من أنت قدوس الله »[١] ، « ما لنا ولك يا يسوع ابن الله أستحلفك أن لا تعذبنى »[٢] .

---

(١) لوقا ٤ : ٣٤ .
(٢) مرقس ٥ : ٧ .

٦ ـ فان كانت الشـــياطين تعترف به ، وأعماله تشهد له يوما فيوما ، فقد اتضح جليا ـ ويجب أن لا يتصلف أحد نحو الحق ـ ان المخلص أقام جســـده ، وأنه هو ابن الله الحقيقى المولود منه كما من أبيه ، وأنه هو كلمته وحكمته وقوته ، الذى فى الأزمنة الأخيرة اتخذ جسدا لخلاص الجميع ، وعلم العالم عن الآب ، وأبطل الموت ، ووهب الكل عدم الفســـاد بموعد القيامة اذ أقام جسده كباكورة لذلك ، وأظهره بعلامة الصليب كعلامة للظفر على الموت وفساده .

# الفصل الثالث والثلاثون

عدم ايمان اليهود واستهزاء اليونانيين . أما
الناحية الاولى فتدحضها كتبهم . نبوات عن
مجيئه كاله متأنس .

١ ــ ان كانت هذه الأمور هكذا ، وان كانت قد تبرهنت بوضوح قيامة جسده ، والغلبة التى تمت على الموت بواسطة المخلص ، فتعال الآن لكى نوبخ كلا من عدم ايمان اليهود واستهزاء الأمم .

٢ ــ ولعل أهم ما يبعث الشك فى اليهود ، والاستهزاء فى الأمم ، أنهم يرون عدم لياقة الصليب ، كما يرون عدم لياقة تأنس كلمة الله . على أننا لن نتأخر عن تقديم الحجج التى تدحض آراء كل من الفريقين ، سيما وان ما لدينا من البراهين ضدهما واضح كوضوح النهار .

٣ ــ فاليهود يوبخون على عدم ايمانهم من نفس كتبهم التى يقرأونها . فهذه الآية أو تلك أو بالاجمال كل الكتاب الموحى به ، يطلق الصوت عاليا ، مناديا بتلك الحقائق ، كما تبين كلماته الصريحة مرارا كثيرة . لأن الأنبياء أذاعوا مقدما عجيبة

العـذراء وولادتها قائلين : « هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا[١] » .

٤ ــ أما «موسى» ، العظيم حقا ، والذى يعتقدون فيه أنه ينطق بالصدق ، فانه اذ اعتبر ما قيل عن تأنس المخلص هاما وجوهريا ، واذ وثق من حقيقته ، دونه فى هذه الكلمات : « يقوم كوكب من يعقوب وانسان من اسرائيل فيحطم رؤساء موآب[٢] » . وأيضا « ما أحلى مساكنك يا يعقوب خيامك يا اسرائيل ، كبساتين ظليلة ، كجنات على نهر ، كخيام ثبتها الرب ، كأرزات على مياه ، يخرج من نسله انسان يصير ربا على شعوب كثيرة[٣] » . ويقول أيضا «أشعياء» : « قبل أن يعرف الصبى أن يدعو يا أبى ويا أمى تحمل قوة دمشق[٤] وغنيمة السامرة قدام ملك أشور[٥] » .

---

(١) متى ١ : ٢٣ ، أشعياء ٧ : ١٤ .

(٢) يلاحظ أن معظم أو كل الاقتباسات التى يستشهد بها أثناسيوس مأخوذة عن الترجمة السبعينية ، وأما نص هذه الآية حسب ترجمة بيروت فهو « يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من اسرائيل فيحطم طرفى موآب » عدد ٢٤ : ١٧ (٣) « ما أحسن خيامك يايعقوب مساكنك يااسرائيل ، كأودية ممتدة ، كجنات على نهر ، كشجرات عود غرسها الرب ، كأرزات على مياه » عدد ٢٤ : ٥ و ٦ أما الجزء الأخير « يخرج من نسله الخ » فليس له وجود فى النسخ التى بين ايدينا لكنه موجود بالترجمة السبعينية

(٤) « تحمل ثروة دمشق » . (٥) أشعياء ٨ : ٤ .

٥ ــ اذن فقد اتضح مما ورد فى هذه الآيات ، أنه سبق أن تنبىء بظهور انسان • أما أن ذاك الذى كان سوف يأتى هو رب الكل ، فقد تنبـأ عنه أيضا فيما يلى « هو ذا الرب جالس على سـحابة خفيفـة وقادم الى مصر فترتجف أوثان مصـر المنحوتة[١] » ، لأنه من هناك دعاه الرب أيضا للرجوع قائلا : « من مصر دعوت ابنى[٢] » •

---

(١) « هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم الى مصر فترجف اوثان مصر » اشعياء ١٩ : ١ •

(٢) هوشع ١١ : ١ •

# الفصل الرابع والثلاثون

## نبواته عن آلامه وموته فى كل ظروفه

١ ـ وأما موته فلم تتغافل عنه الكتب الالهية ، لكنها بالعكس أشارت اليه اشارات متعددة فى غاية الوضوح . فانها خوفا من أن يخطىء أحد بسبب عدم توافر التعليم عن الحوادث الفعلية ، خشيت أن لا تذكر حتى سبب موته ، فهو لم يحتمل الموت من أجل نفسه ، بل من أجل عدم موت الجميع وخلاصهم ، وبسبب مؤامرة اليهود ضده ، والاهانات التى وجهت اليه على أيديهم .

٢ ـ لهذا قالت : « رجل ضربات يعرف كيف يتحمل الضعف لأن وجهه قد أقصى بعيدا ، احتقر ولم يعتد به . خطايانا حملها ، وتألم من أجلنا ، ونحن حسبناه مصابا ومضروبا ومذلولا جرح لأجل خطايانا ، سحق لأجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه وبجبره شفينا[١] » . أفلا تدهش من رحمة « الكلمة » العجيبة اذ أهين هو من أجلنا لكى نمجد نحن . ثم يقول الكتاب « كلنا كغنم ضللنا ، حاد الانسان عن طريقه . والرب

---

(١) قارن ذلك بما هو وارد فى اشعياء ٥٣ : ٣ ـ ١٠ .

أسـلمه لأجل خطايانا ، ولم يفتح فاه لأنه أسيء اليه ؛ سـيق كشاة للذبح وكنعجة صامتة أمام جازيهـا فلم يفتح فاه ، وفى اتضـاعه ( أو باتضـاعه ) رفعت عنه ( أو تعـالت وارتفعت ) دينونته[1] ( أو حكمه ) .

٣ ــ ولئلا يستنتج أحد من آلامه أنه انسان عادى ، بادر الكتاب المقدس وأشار الى أوهام البشر ، معلنا قوته الفائقة ، ومبينا الفرق بين طبيعته وطبيعتنا قائلا « ومن يخبر بجيله ، لأن حياته انتزعت من الأرض ، من شر الشعب سـيق الى الموت ، سأعطى الأشرار عوض دفنه ، والأغنياء عوض موته ، لأنه لم يعمـل شرا ولا وجـد فى فمـه غش ، وسـيطهره الرب من جراحاته[2] » .

---

(١) و (٢) قارن بما هو وارد فى اشعياء ٥٣ : ٣ ــ ١٠ .

# الفصل الخامس والثلاثون

نبــوات عن الصــليب . وكيف تمت هذه
النبوات فى المسيح وحده .

١ ــ ولعلك بعــد أن سمعت النبــوات المتعلقة بموته ، تطلب أن تعرف ما كتب عن الصليب ، فالكتاب لم يغفل عن هذا أيضا ، ذكره القديسون بكل ايضاح .

٢ ــ فأولا تنبــأ « موسى » عنه بصــوت عال اذ يقول « وترون حياتكم معلقة أمام عيونكم ولا تؤمنون[١] » .

٣ ــ وبعد ذلك شهد عن هذا الأنبياء الذين بعده قائلين « وأنا كحمل برىء يساق الى الذبح ولم أعلم أنهم تآمروا على قائلين تعالوا نلقى فى خبزه شجرة ونقطعه من أرض الأحياء[٢] .

---

(١) « وتكون حياتك معلقة قدامك ولا تأمن على حياتك » تثنية ٢٨ : ٦٦ (٢) وانا كخروف داجن يساق الى الذبح ولم أعلم انهم فكروا على افكارا قائلين : لنهلك الشــجرة بثمرها ونقطعه من أرض الأحياء ، ارميا ١١ : ١٩ .

٤ ــ وأيضا « ثقبوا يدى ورجلى ، أحصوا[١] كل عظامى اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى اقترعوا[٢] » .

٥ ــ فالموت الذى يرفع المرء الى فوق ، والذى يتم على شجرة ، لا يمكن الا أن يكون موت الصليب . وأيضا لا يمكن أن تثقب اليدان والرجلان فى أى موت الا على الصليب .

٦ ــ ونظــرا لأنه منذ حلول المخلص بين البشر ، بدأت الأمم من كل جهة تعرف الله ، فانهم لم يتركوا هذه الناحية أيضا دون الاشــارة اليها ، بل ذكروها فى الكتب المقدســة ، لأنه « سيكون أصــل يسى الذى يقوم ليحكم الأمم ، عليه يكون رجاء الأمم[٣] » وهذه الأقوال كافية لاثبات ما حدث .

٧ ــ على أن كل الكتاب المقــدس مشحون بالحجج التى تدحض عدم ايمان اليهــود . لأنه من من الأبرار والأنبيــاء القديسين والآباء البطاركة الأولين ، المدونة أسماؤهم فى الكتب الالهية ، ولد جسديا من عذراء فقط ؟ أو أية امرأة كانت كافية

---

(١) « احصى » .
(٢) مزمور ٢٢ : ١٦ ــ ١٨ .
(٣) « ويكون فى ذلك اليــوم ان اصــل يسى القــائم راية للشعوب اياه تطلب الامم » أشعياء ١١ : ١٠ .

لحمل انسان بشرى بدون رجل ؟ ألم يولد هابيل من آدم ، واخنوخ من يارد ، ونوح من لامك ، وابراهيم من تارح ، واسحق من ابراهيم ، ويعقوب من اسحق ؟ ألم يولد يهوذا من يعقوب ، وموسى وهرون من عمرام ؟ ألم يولد صموئيل من ألقانة ؟ ألم يكن داود من يسى ؟ ألم يكن سليمان من داود ؟ ألم يكن حزقيا من آحاز ؟ أما كان يوشيا من عاموس[1] ؟ أما كان أشعياء من آموص ؟ أما كان ارميا من حلقيا ؟ أما كان حزقيال من بوزى ؟ ألم يكن لكل واحد أب كأصل لوجوده ؟ اذن فمن ذا الذى ولد من عذراء فقط ؟ لأن النبى شدد التأكيد جدا على هذه العلامة .

٨ ـ ومن ذا الذى عند ميلاده سبق أن جرى كوكب فى السماء ليعلن للعالم ذاك الذى ولد ؟ فموسى لما ولد أخفاه أبواه ، وداود لم يسمع عنه حتى جيرانه ، حتى ان صموئيل العظيم نفسه لم يكن يعرفه بل سأل : ألم يبق بعد ابن ليسى ؟ وابراهيم أيضا عرفه جيرانه رجلا عظيما[2] بعد ميلاده بزمن طويل . أما عن ميلاد المسيح ، فان الذى شهد له لم يكن انسانا ، بل نجما فى السماء التى نزل منها .

---

(١) « آموص » .
(٢) أو « لم يعرفه جيرانه رجلا عظيما الا بعد أن صار رجلا عظيما » .

# الفصل السادس والثلاثون

نبوات عن عظمة المسيح والهرب الى مصر ... الخ .

١ ــ وأى ملك من ملوك الأرض قاطبــة ، حكم وتم له الانتصار على أعدائه ، قبل أن يقدر أن يدعو أبا أو أما[1] ــ ألم يصل داود الى العرش فى سن الثلاثين ، وسليمان لما كبر ووصل الى سن الشباب ؟ ألم يرأس يو آش المملكة فى ســن السابعة ، ويوشيا ــ وهو ملك جاء بعده ــ قبل الحكم وهو فى سن السابعة ؟ ومع ذلك فان هذين كانا ــ فى تلك السن ــ يقدران أن يدعوا أبا وأما .

٢ ــ اذن من ذا الذى كان يحكم ويهلك أعداءه ، حتى قبل ولادته ؟ ليخبرنا اليهود الذين فحصوا الأمر : أى ملك كهذا ــ وجد فى اسرائيل أو يهوذا ــ وضعت عليه كل الأمم رجاءها ووجدت فيه سلاما ، بدلا من أن يعاديها من كل ناحية ؟

---

(١) أشــعياء ٨ : ٤ « لانه قبل أن يعرف الصبى أن يدعو يا ابى ويا امى تحمل ثروة دمشق وغنيمة الســامرة قدام ملك أشور » أما فى الترجمة السبعينية فقد وردت هذه الآية هكذا : « لانه قبل ان يعرف الصبى أن يدعو يا أمى يحمل انســان قوة دمشق وغنائم السـامرة قدام ملك الاشوريين » .

٣ ـ لأنه طالما كانت أورشليم قائمة كانت الحروب قائمة بينها بلا انقطاع . وكانت كلها تحارب اسرائيل . فالأشوريون ضايقوهم ، والمصريون اضطهدوهم ، والبابليون انقضوا عليهم . والأغرب من ذلك ، أنه حتى الآراميين جيرانهم كانوا يحاربونهم . أما حارب داود أهل موآب ، وضرب الأراميين ؟ ويوشيا كان يحترس من جيرانه ، وحزقيا خارت عزائمه أمام تعيير سنحاريم[1] . بل ان عماليق حارب موسى ، والأموريين قاوموه ، وسكان أريحا قاوموا يسوع[2] بن نون . وبالاجماع فان معاهدات الصلح والسلام كانت معدومة بين الأمم واسرائيل . اذن وجب أن نتأمل فى من كان يجب أن تضع الأمم رجاءها عليه ، لأنه يجب أن يكون هنالك شخص كهذا ، اذ يستحيل أن يكون النبى قد نطق كذبا .

٤ ـ وأى الأنبياء القديسين أو الآباء البطاركة الأولين ، مات على الصليب من أجل خلاص الجميع ؟ أو من ذا الذى جرح وسحق لأجل شفاء الجميع ؟ أو من من الأبرار أو الملوك ، نزل الى مصر وسقطت أوثان مصر بمجرد مجيئه اليها ؟[3] فابراهيم ذهب اليها ، ولكن العبادة الوثنية ظلت منتشرة بها كما كانت ، وموسى ولد فيها ، ولم تنقص عبادة الشعب المضلة .

---

(١) سنحاريب .          (٢) يشوع .

(٣) انظر رسالته الحادية والستين الموجهة الى مكسيموس حوالى سنة ٣٧١م .

# الفصل السابع والثلاثون

مرموز ٢٢ : ١٦ الخ . عظمة ميلاده وموته . اضطراب العرافين والشياطين في مصر .

١ ــ أو من ممن دونت سيرتهم في الكتاب المقدس ثقبت يداه ورجلاه ، أو علق مطلقا على شجرة ، ومات على صليب لأجل خلاص الجميع ؟ فابراهيم ختم حياته على سرير ، واسحق ويعقوب ماتا أيضا رافعين[1] أرجلهما على سرير ، وموسى وهرون ماتا على الجبل ، وداود في بيته دون أن يعرض لمؤامرة الشعب . صحيح أن شاول طارده ، ولكنه لم يمس بأذى . واشعياء نشر ، ولكن لم يعلق على شجرة . وارميا أهين ، الا أنه لم يحكم بموته ، وحزقيال تألم ، لا من أجل الشعب ، انما ليبين ما كان عتيدا أن يحل بالشعب .

٢ ــ وأيضا ان كانوا هؤلاء احتملوا الآلام ، فانهم كانوا جميعهم يشبهون بعضهم بعضا في طبيعتهم المشتركة ، أما ذاك

---

(١) تكوين ٤٩ : ٣٣ « ولما فرغ يعقوب من توصية بنيه ، ضم رجليه الى السرير وأسلم الروح . ووردت هذه الآية بالترجمة السبعينية كالآتي « وفرغ يعقوب من توصية بنيه . واذ رفع رجليه الى السرير مات » .

الذى أعلن عنه فى الكتاب أن يتألم عن الجميع ، فانه لم يدع مجرد انسان ، بل « حياة » الجميع ، ولو كان مشابها للبشر فى البشرية • لأنه يقول : «وترون حياتكم معلقة أمام أعينكم[1]» . وأيضا « وجيله من يخبر به[2] » • لأن المرء يستطيع أن يتحقق من سلسلة أنساب جميع القديسين ، ويخبر بها منذ البدء ، ويعرف من أى جيل ولد كل منهم • أما جيل ذاك الذى هو « الحياة » ، فان الكتب المقدسة تشير اليه بأنه لا يخبر به •

٣ ـ فمن هو اذن هذا الذى تتحدث عنه هكذا الكتب الالهية ؟ أو من هو ذلك العظيم بهذا المقدار ، حتى يتنبأ عنه الأنبياء بهذه النبوات العظيمة ؟ لن يوجد أحد آخر فى الكتب الا مخلص الجميع ، كلمة الله ، ربنا يسوع المسيح ، لأنه هو الذى ولد من عذراء ، وظهر كانسان على الأرض ، وهو الذى لا يخبر بجيله حسب الجسد • لأنه لن يوجد من يستطيع أن يعين له أبا حسب الجسد ، اذ أن جسده لم يكن من رجل بل من عذراء فقط •

٤ ـ لذلك لن يستطيع أحد أن يخبر عن تناسل المخلص بالجسد من رجل ، بنفس الطريقة التى تذكر بها سلسلة أنساب

---

(١) انظر فصل ٣٥ : ٢ •
(٢) فصل ٣٤ : ٣ •

داود وموسى ، وجميع الآباء البطاركة • لأنه هو الذى جعل النجم أيضا يشير الى نوع ميلاد جسده • لأنه كان يليق « بالكلمة » النازل من السماء ، أن تكون الاشارة اليه أيضا من السماء ، وكان يليق بملك الخليقة عند ظهوره للعالم ، أن تعترف به كل الخليقة جهارا •

٥ ـ ولماذا ؟ لأنه ولد فى اليهودية ، وأتى رجال من بلاد الفرس ليسجدوا له ، وهو الذى ، حتى قبل ظهوره فى الجسد نال الغلبة على الشياطين خصومه ، والظفر على العبادة الوثنية • فالناس من كل لون ، وفى كل قطر ، هجروا تقاليدهم الموروثة ورجاسات الأصنام ، وتراهم الآن يركزون رجاءهم فى المسيح ، ويلتفون حول رايته ، الأمر الذى تستطيع أن تراه بعينيك •

٦ ـ فضلال المصريين لم يكف فى أى وقت من الأوقات ، الا عندما جاء اليها رب الكل فى الجسد ، كأنه راكب على سحابة ، وبدد ضلالات الأوثان ، ونقل الجميع الى نفسه ، ثم الى الآب عن طريق شخصه •

٧ ـ هذا هو الذى صلب أمام الشمس وكل الخليقة كشهود ، وأمام من أسلموه الى الموت • وبموته صار الخلاص للجميع ، والفداء لكل الخليقة • هو « حياة » الجميع ، الذى سلم جسده الى الموت نيابة عن الجميع ، ولأجل الجميع ، ولو لم يؤمن اليهود بذلك •

# الفصل الثامن والثلاثون

نبوات أخرى واضحة عن مجيء الله في الجسد . معجزاته المنقطعة النظير .

١ ــ وان ظنوا أن هذه الأدلة غير كافية ، فليقتنعوا على أي حال ببراهين أخرى مستمدة من الأقوال الالهية التي بين أيديهم • لأنه عمن يتحدث الأنبياء اذ يقولون « استعلنت للذين لم يطلبوني ، وجدت من الذين لم يسألوا عني ، قلت هأنذا للأمة التي لم تسم باسمي ، بسطت يدي الى شعب معاند ومقاوم[1] » •

٢ ــ ويحق للمرء أن يسأل اليهود : من هو اذن ذاك الذي قد استعلن ؟ ان كان هو النبي ، فليذكروا لنا متى اختفى حتى يظهر ثانية • وأي نبي هذا الذي لم يستعلن من الخفاء فقط ، بل بسط يديه أيضا على الصليب ؟ يقينا انه ليس بين الأبرار سوى كلمة الله فقط ، الذي ، وهو روح لا جسد له ، ظهر في الجسد من أجلنا وتألم عن الجميع •

(١) « اصغيت الى الذين لم يسألوا ، وجدت من الذين لم يطلبوني . قلت هأنذا لأمة لم تسم باسمي ، بسطت يدي الى شعب متمرد » اشعياء ٦٥ : ١ و ٢ انظر أيضا رومية ١٠ : ٢١ .

٣ ـ وان لم يكفهم هذا أيضا ، فلعلهم على الأقل يخرسون أمام هذا البرهان الآخر الواضح كل الوضوح • لأن الكتاب يقول : « تشددى أيتها الأيادى المسترخية والركب المرتعشة ، تعزوا يا خائفى القلوب ، تشددوا لا تخافوا ، هوذا الهنا يجازى منتقما ، هو يأتى ويخلصنا • حينئذ تتفتح عيون العمى وآذان الصم تسمع حينئذ يقفز الأعرج كالايل ولسان العيين يصير فصيحا[1] » •

٤ ـ والآن ماذا يستطيعون أن يقولوا فى هذا ، وكيف يجرؤون على مواجهة هذا ؟ على أى حال ، فالنبوة لا توضح فقط أن الله يحل هنا • ولكنها تعلن أيضا علامات ووقت مجيئه • فهى تقرن تفتيح أعين العميان وشفاء العرج ليمشوا ، والصم ليسمعوا ، ولسان العيين ليصير فصيحا ، بمجىء الله الذى كان مزمعا أن يتم • فليقولوا اذن متى تمت هذه العلامات فى اسرائيل ، أو فى أى مكان من اليهودية حدث أمر كهذا •

---

(١) شددوا الأيادى المسترخية ، والركب المرتعشة ثبتوها قولوا لخائفى القلوب تشددوا ولا تخافوا . هوذا الهكم ، الانتقام يأتى ، جزاء الله . هو يأتى ويخلصكم . حينئذ تتفتح عيون العمى وآذان الصم تنفتح . حينئذ يقفز الاعرج كالايل والسنة العيين تبادر الى التكلم فصيحا » اشعياء ٣٥ : ٣ ـ ٦ ، ٣٢ : ٤ ( تتفقح أى تنفتح ) .

٥ ـ صحيح أن « نعمـان » الأبرص تطهر ، ولكن لم يحصل أن أصم سمع ، أو أعرج مشى • وايليا أقام ميتا ، وكذلك فعل « اليشع » ، ولكن لم نر انسانا أعمى منذ ولادته استعاد بصره • صحيح أن اقامة الميت أمر عظيم ، ولكنه لا يمكن أن يشبه العجائب التى عملها المخلص • وان كان الكتاب لم يغفل عن ذكر حادثة الأبرص ، وحادثة ابن الأرملة ، فانه بلا شك لو كان حدث أن انسانا أعرج مشى ، وأعمى استعاد بصره ، لما أغفل ذكر ذلك أيضا • وحيث أنه لم يذكر شيء من ذلك فى الكتب ، فواضح أن تلك الأمور لم تحصل مطلقا من قبل •

٦ ـ اذن فمتى حصلت هذه الا عندما جاء كلمة الله نفسه فى الجسد ؟ ومتى جاء الا حين مشى العرج ، وتكلم البكم فصيحا ، والصم سمعوا ، والعمى منذ ولادتهم استعادوا بصرهم ؟ لأن هذا هو نفس ما قاله اليهود الذين شهدوا تلك الأمور اذ لم يسمعوا أنها حدثت فى أى وقت آخر : « منذ الدهر لم يسمع أن أحدا فتح عينى مولود أعمى • لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئا[١] » •

(١) لوقا ٩ : ٣٢ و ٣٣ •

# الفصل التاسع والثلاثون

هل تطلبون دليلا آخر ؟ لقد تنبأ دانيال عن الوقت المحدد . تفنيد الاعتراضات المتعلقة بهذا الأمر .

١ - لكن ربما لعدم استطاعتهم الاستمرار فى مقاومة الحقائق الواضحة يصرحون - دون أن ينكروا المكتوب ، بأنهم ينتظرون هذه الأمور ، وأن كلمة الله لم يأت بعد ، لأن هذا ما يرددونه دوما دون أن يخجلوا من مواجهته بالحقائق الواضحة .

٢ - وفى هذه الناحية بنوع خاص ، يحق توبيخهم توبيخا أشد ، لا بواسطتنا ، بل من قبل « دانيال » المتزايد فى الحكمة . الذى حدد كلا من التاريخ الفعلى لمجيء المخلص ، وحلوله الالهى بيننا ، اذ قال « سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا وابادة الآثام وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة لمسح قدوس القدوسين ، فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها الى المسيح الرئيس[1] ... »

---

(١) دانيال ٩ : ٢٤ و ٢٥ .

٣ ـ لعلهم فى النبوات الأخرى يستطيعون أن يتلمسوا المعاذير لأنفسهم ، أو يحيلوا المكتوب الى المستقبل • ولكن ماذا عساهم يقولون عن هذه النبوة ، أو هل يستطيعون مواجهتها بأى حال من الأحوال ؟ ففيها لا نجد اشارة الى المسيح فحسب ، ولكنها تعلن صراحة أن الذى سيمسح ليس مجرد انسان بل « قدوس القدوسين » ، وأن الرؤيا والنبوة تبقى قائمة فى أورشليم الى مجيئه ، ومن ثم تبطل النبوة والرؤيا من اسرائيل •

٤ ـ لقد مسح داود فى القديم وكذا سليمان وحزقيا ، ومع ذلك كانت أورشليم والموضع باقيين ، وكان الأنبياء يتنبأون ، جاد وأساف وناثان ، ومن بعدهم أشعياء وهوشع وعاموس وغيرهم • ثم ان من كانوا يمسحون كانوا يدعون قديسين ، ولكن أحدا منهم لم يدع قط «قدوس القدوسين» •

٥ ـ أما ان كانوا يحتمون فى السبى قائلين ان أورشليم لم تكن قائمة بسببه ، فماذا يقولون عن الأنبياء أيضا ؟ لأنه فى الواقع عندما نزل الشعب فى بدء الأمر الى بابل كان فيها دانيال وأرميا ، وكان حزقيال وحجى وزكريا يتنبأون •

# الفصل الأربعون

اقامة البرهان (١) من أبطال النبوة وخراب
أورشليم (٢) من تجديد الأمم واتباعهم اله موسى
وماذا بعد ليفعله المسيا ولم يتممه المسيح ؟

١ ـ اذن فاليهود يعيشون ، والوقت الذى تتحدث عنه ، والذى يحاولون أن يثبتوا أنه يشير الى المستقبل قد حل فعلا ، لأنه متى بطلت النبوة والرؤيا من اسرائيل الا عندما أتى المسيح قدوس القدوسين ؟ لأنه من ضمن العلامات والبراهين القوية على مجىء كلمة الله أن أورشليم لا تكون قائمة فيما بعد ، ولا يكون نبى قائما فيهم ، ولا تعلن لهم رؤيا ، وهذا أمر طبيعى جدا .

٢ ـ لأنه ان كان ذاك الذى أشير اليه قد جاء ، فما هى الحاجة لأية اشارة تشير اليه بعد ؟ ان كان الحق قد وافى فما هى الحاجة بعد الى الظل ؟ لأن هذا هو السبب الذى لأجله تنبأوا ، أى الى أن يأتى البر الحقيقى ، المزمع أن يكون فدية عن الجميع ، وكان هذا هو السبب فى بقاء أورشليم الى ذاك الوقت ، أى حتى يتدربوا هناك فى الرموز استعدادا للحقيقة .

٣ ـ فعندما جاء « قدوس القدوسين » كان طبيعيا أن

تختم الرؤيا والنبوة ، وتبطل مملكة أورشليم . لأن الملوك كان يجب أن يمسحوا بينهم الى أن يمسح « قدوس القدوسين » . ويعقوب تنبأ بأن مملكة اليهود تبقى حتى مجيئه قائلا « لا يزول حاكم من يهوذا ورئيس من بين أحقائه حتى يأتى المعد له وهو رجاء الشعوب[1] » .

٤ ــ ومتى هتف المخلص نفسه أيضا قائلا « النــاموس والأنبياء الى يوحنا تنبــأوا[2] » . فلو كان لليهود الآن ملك أو رؤيا ، لجــاز لهم أن ينكروا المسيح الذى أتى . أما ان لم يوجد ملك ولا رؤيا ، بل من ذلك الوقت الى الآن ختمت كل نبوة ، وأخذت المدينة والهيكل ، فلمــاذا يجحدون ويتمردون لهذا الحد ، اذ وهم ينظرون ما حصل ينكرون المسيح الذى تمم كل شيء ؟ ولمــاذا وهم يرون حتى الأمم يهجــرون أوثانهم ، ويركزون رجاءهم فى اله اسرائيل بالمسيح ــ ينكرون المسيح الذى ولد من أصل يسى حسب الجسد ، والذى صار ملكا من ذلك الوقت الى الآن ؟ لأنه لو كانت الأمم تعبــد الها آخر ،

(١) « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شــعوب » تكوين ٤٩ : ١٠ ( شيلون فسرت بمعنى « من له الحق » . انظر قاموس الكتاب المقدس ) .

(٢) الأنبياء والناموس الى يوحنا تنبأوا » متى ١١ : ١٣ ، لوقا ١٦ : ١٦ .

ولا تعترف باله ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى ، لجاز لهم مرة أخرى أن يدعوا بأن الله لم يأت •

٥ ــ أما ان كان الأمم[١] يكرمون نفس الاله الذى أعطى الناموس لموسى ، وقرر الوعد لابراهيم ، والذى احتقر اليهود كلمته ، فلماذا يجهلون ، أو بالحرى لماذا يتجاهلون ، أن الرب الذى تنبأت عنه الكتب قد أشرق على العالم ، وظهر له متجسدا كما قال الكتاب « الرب الاله أنار علينا[٢] » وأيضا « أرسل كلمته فشفاهم[٣] » ، وأيضا « لا رسول ولا ملاك بل الرب نفسه خلصهم[٤] » •

٦ ــ ويمكن تشبيه حالتهم بانسان غير متزن العقل يرى الأرض تضيئها الشمس • ولكنه ينكر الشمس التى تنيرها •

---

(١) الوثنيون .

(٢) « الرب هو الله وقد أنار لنا » مزمور ١٨ : ٢٧ ، انظر أيضا عدد ٦ : ٢٥ .

(٣) مزمور ١٠٧ : ٢٠ .

(٤) « فصار لهم مخلصا . فى كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلصهم بمحبته ورأفته هو فكهم » أشعياء ٦٣ : ٨ و ٦ اما فى الترجمة السبعينية فقد وردت هذه الفقرة هكذا « فصار لهم مخلصا من كل ضيقهم . لا سفير ولا رسول بل خلصهم بنفسه لأنه احبهم ونجاهم ، هو بنفسه فداهم » .

لأنه ماذا بقى لكى يفعله ذاك الذى ينتظرونه عند ما يأتى ؟ أيدعو الأمم ؟ لقد تمت دعوتهم فعلا • أيبطل النبوة والملك والرؤيا ؟ وهذا أيضا تم • أيفضح فساد العبادة الوثنية ؟ لقد فضحت وشجبت فعلا • أيبيد الموت ؟ لقد أبيد فعلا •

٧ ــ اذن فأى شيء لم يفعله المسيح ولم يحصل ؟ وأى شيء لم يتم حتى يصر اليهود على عدم ايمانهم ؟ أقول لأنه ان كان ــ كما نرى فعلا ــ لم يبق بعد ملك ولا نبى ولا أورشليم ولا ذبيحة ولا رؤيا بينهم ، بل امتلأت الأرض كلها من معرفة الله ، والأمم تركوا فساد عبادتهم الوثنية ، والتجأوا الآن الى اله ابراهيم « بالكلمة » ربنا يسوع المسيح ، فيجب أن يكون واضحا حينئذ ــ حتى لأشد الناس عنادا ــ أن المسيح قد أتى ، وأنه أنار الكل اطلاقا بنوره ، وأعطاهم التعليم الصحيح الالهى عن أبيه •

٨ ــ هكذا يستطيع المرء أن يوبخ اليهود بحق بهذه الحجج وبغيرها من الكتب الالهية •

# الفصل الواحد والأربعون

الرد على اليونانيين . هل هم يعترفون بالكلمة ؟ (١) ان كان يعلن نفسه فى نظام وترتيب الكون فماذا يمنع ظهوره فى جسد ما ؟ الأن الجسد البشرى جزء من الكل .

١ ـ لا يستطيع المرء الا أن يعجب غاية العجب من الأمم[٢] ، الذين بينما يضحكون على ما لايدعو الى الاستهزاء ، لا يحسون بخزيهم ، ولا يرون أنهم أقاموا لأنفسهم آلهة من خشب وحجارة .

٢ ـ ومع أن حجتنا لا تحتاج الى زيادة فى البرهان والايضاح ، لكن تعال بنا نخجلهم بالبراهين المقنعة ، وبنوع أخص مما نراه نحن بأنفسنا ، لأنه أى الأمور ترى من جانبنا سخيفة أو غير معقولة أو تدعو الى السخرية ؟ أهو مجرد قولنا

---

(١) (Logos) لوغوس وهى اللفظة اليونانية المستعملة فى انجيل يوحنا لتعبر عن « الكلمة » وكانت هذه اللفظة حسب اصطلاح الفلسفة اليونانية ( وخاصة فلسفة الرواقيين المنتسبة الى زينون الفيلسوف اليونانى ٣٤٠ ـ ٢٦٠ق.م ) تعبر عن القوة الحالة فى الكون التى تمده بالحياة والضابطة لكل الأشياء .

(٢) وفى بعض الترجمات « اليونانيين » .

ان « الكلمة » ظهر فى الجسد ؟ انهم لو كانوا أصدقاء للحق ، لاشتركوا معنا هم أيضا فى الاعتراف بحدوث هذا ، دون أن يروا فى القول سخفا •

٣ ـ وان كانوا ينكرون وجود كلمة الله كلية ، فانه لا أساس لهذا الانكار[١] ، اذ هم يستهزئون بما يجهلونه •

٤ ـ وأما ان كانوا يعترفون بوجود كلمة الله ، وأنه هو مدبر الكون ، وأن الآب خلق به كل الكائنات ، وأن الكل بعنايته ينالون النور والحياة والوجود ، وأنه يملك على الكل ، ولذلك فانه يعرف من أعمال عنايته ، وبه يعرف الآب ، فأتوسل اليك أن تمعن التأمل فيما اذا كانوا يهزأون بأنفسهم وهم لا يدرون •

٥ ـ ففلاسفة اليونانيين[٢] يقولون ان الكون جسم[٣] هائل ، وهذا حق لأننا نراه ، ونرى أجزاءه واقعة تحت حواسنا فان كان كلمة الله فى الكون الذى هو جسم ، وان كان

---

(١) يسلم اثناسيوس هنا جدلا ـ لاثبات قضيته ـ بمبادىء التعاليم الأفلاطونية الحديثة . وقد كانت هذه التعاليم تدين بآراء « فيلو » فيما يختص بالكلمة (Logos) ولكن حتى فى هذه الناحية كان يشتم فى هذه التعاليم رائحة تعاليم أفلاطون .

(٢) وخاصة أفلاطون .

(٣) أو جسد .

اتحد[1] بكل الكون وبكل أجزائه ، فما هو وجه الغرابة أو السخف ان قلنا انه اتحد[1] بالانسان أيضا ؟

٦ ـ لأنه لو كان حلوله فى جسد أمرا سخيفا وغير معقول ، لكان أمرا سخيفا أيضا أن يتحد بكل الكون ويعطى ضياء وحركة لكل الأشياء بعنايته ، لأن الكون أيضا جسد •

٧ ـ أما ان كان قد لاق به أن يتحد بالكون ، وأن يعرف فى الكل ، وجب أن يليق به أيضا أن يظهر فى جسد بشرى ، وأن يستضىء به ذلك الجسد ويعمل ، لأن البشرية جزء من الكل كسائر الأجزاء • ولو كان أمرا غير لائق أن يتخذ جزءا كأداة يعلم البشر بها عن لاهوته ، لكان أمرا فى غاية السخف أن يعرف بواسطة كل الكون أيضا •

---

(١) او « يسكن فى كل » حسب بعض الترجمات •

## الفصل الثاني والأربعون

ان اتحاده بالجسد مؤسس على علاقته بالخليقة بوجه الاجمال . وهو استخدم جسدا بشريا لأنه أراد ان يعلن نفسه للانسان .

١ ــ نعلم أن الجسد كله يحيا ويستنير بالانسان . فان قال أحد انه من السخافة أن تكون قوة الانسان فى أصبع رجله أيضا ، حسب ذلك المرء غبيا وعديم التمييز ، لأنه وهو يسلم أنه يسود كل الأجزاء ، ويعمل فيها كلها ، ينكر وجوده فى الجزء أيضا ، هكذا يجب على من يسلم ويؤمن أن كلمة الله فى كل الكون ، وأن الكل يستضيء ويتحرك به ، أن لا يحسبه سخافة أن ينال منه جسد بشرى واحد حركة ونورا .

٢ ــ أما ان كانوا يتوهمون أن ظهور المخلص فى الانسان ــ الأمر الذى نتحدث عنه ــ غير لائق ، لأن الجنس البشرى مخلوق ، ومخلوق من العدم ، فانه يجب عليهم أن يخرجوه من الخليقة أيضا ، لأنها هى أيضا وجدت من العدم « بالكلمة » .

٣ ــ أما اذا لم يكن من السخافة أن يكون « الكلمة » فى الخليقة ، رغم أنها شيء مخلوق ، فانه ليس من السخافة

كذلك أن يكون هو فى الانسان • لأن أية فكرة يكونونها عن الكل ، يجب أن يطبقوها على الجزء بطبيعة الحال • والانسان أيضا جزء من الكل ، كما بينت سابقا •

٤ ــ اذن ليس فى ذلك شيء من عدم اللياقة على الاطلاق ، أن يحل « الكلمة » فى انسان ، طالما كانت كل الأشياء تستمد منه نورها وحركتها وحياتها ، كما يقول كتبتهم « اننا به نحيا ونتحرك ونوجد[١] » •

٥ ــ وأى شيء يوجب الاستهزاء فيما نقــوله ، ان كان « الكلمة » قد استخدم ذلك الجسد الذى حل فيه كأداة ليعلن ذاته فيها ؟ لأنه لو لم يكن حالا فيه لما أمكن استخدامه • وان كنا قد سبق فسلمنا بوجوده فى كل الكون وفى أجزائه ، فما الذى لا يصدق فى اظهاره ذاته فيما هو حال فيه ؟

٦ ــ لأنه بســلطانه متحد بكل شيء وبكل الأشــياء ، ويضبط كل الأشياء بقدرة لا حد لها • فلو أراد أن يتحــدث ويعلن ذاته وأباه بواسطة الشمس أو القمر أو السماء أو الأرض أو المياه أو النار ، لما تجرأ أحد أن يقول ان ذلك فى غير محله ، اذ هو ممســك الكل فى وقت واحد ، وهو فى الواقــع ليس

---

(١) أعمال ١٧ : ٢٨ •

موجودا فى الكل فحسب ، بل موجود أيضا فى ذلك الجزء الذى تتحدث عنه ، والذى فيه أظهر ذاته بطريقة غير منظورة ، هكذا أيضا لا يمكن أن يكون سخيفا ان كان — وهو ضابط كل الأشياء ومانح الحياة لها أجمع ، وأراد أن يعلن نفسه فى البشر — قد استخدم جسدا بشريا كأداة ليعلن فيه الحق ومعرفة الآب ، لأن البشرية هى أيضا جزء فعلى من الكل •

٧ — وكما أن العقل ، وهو يتخلل الانسان بكليته ، يعبر عنه جزء واحد من الجسم ، أعنى اللسان ، دون أن يقول أحد باحتقار جوهر العقل لهذا السبب ، هكذا ان كان « الكلمة » وهو يتخلل كل الأشياء قد استخدم أداة بشرية ، فلا يمكن أن يكون ذلك غير لائق به ، لأنه كما قلت سابقا ، لو كان غير لائق أن يتخذ جسدا كأداة ، لكان غير لائق به أيضا أن يكون فى الكل •

# الفصل الثالث والأربعون

لقد جاء فى شكل بشرى وليس فى شكل اسمى لأنه (١) جاء ليخلص لا ليبهر الأنظار ويؤثر على الالباب (٢) لأن الانسان وحده هو الذى أخطأ دون سائر المخلوقات . البشر لم يريدوا أن يروا أعماله فى الكون ولذا جاء وعمل بينهم كانسان فى الدائرة التى حصروا انفسهم فيها .

١ ــ والآن اذا سألوا قائلين : لماذا لم يظهر بواسطة أجزاء أخرى من الخليقة أشرف وأسمى ، ويستخدم أداة أشرف كالشمس أو القمر أو الكواكب أو النار أو الهواء ، بدلا من مجرد الانسان ؟ فليعلموا أن الرب لم يأت لكى يتظاهر ويتباهى بل لكى يشفى أولئك الواقعين تحت الآلام ويعلمهم .

٢ ــ فالطريق لمن يريد أن يتظاهر هو أن يظهر ويبهر الناظرين ويذهل عقولهم . أما من يطلب أن يشفى ويعلم الطريق، فعليه أن لا يكتفى بمجرد حلوله هنا ، بل يقدم نفسه لمساعدة المحتاجين ، وأن يظهر فى الشكل الذى يحتمله من هم فى حاجة اليه ، لئلا ــ اذا أفرط فى سد حاجة المتألمين ــ يزعج المحتاجين اليه ، وبذلك يجعل ظهور الله عديم الجدوى لهم .

٣ ــ والواقع أنه لم يصل أحد من الخليقة عن الله الا الانسان وحده . فلا الشمس ولا القمر ولا السماء ولا الكواكب ولا الماء ولا الهواء انحرفت عن نظامها ، ولكنها اذ عرفت صانعها وضابطها ــ « الكلمة » ــ فهى باقية كما صنعت[1] . أما البشر وحدهم ، فاذ رفضوا ما هو صالح ، اخترعوا أشياء من العدم عوض الحق ، ونسبوا الكرامة المستحقة لله ، ومعرفتهم له ، الى الجن والبشر فى شكل حجارة .

٤ ــ واذ لم يكن لائقا بصلاح الله أن يتغاضى عن أمر خطير كهذا ، ولأن البشر كانوا لا يزالون عاجزين عن أن يدركوا أنه هو ضابط ومدبر الكل ، لذلك كان صوابا أن يتخذ لنفسه جزءا من الكل كأداة ، أى جسده البشرى ، ويتحد به[2] حتى لا يعجز البشر عن أن يدركوه فى الجزء ، وبعد أن عجزوا عن أن يتطلعوا الى سلطانه غير المنظور يستطيعون على أى حال أن يدركوه ويتأملوه فيه فيما يشبههم .

---

(١) وقد أجاد الشاعر « كبل » (Keble) كل الاجادة فى وصف هذه الحقيقة اذ قال :

All true, all faultless, all in tone, creation's wondrous choir Opened in mystic unison, to last till time expire, And still it lasts ; by day and night with one consenting voice.
All hymn Thy glory, Lord, aright, all worship and rejoice ; Man only mars the sweet accord...

(٢) أو « ويسكن فيه » .

٥ ــ لأنهم ، وهم بشر ، يستطيعون أن يعرفوا أباه مباشرة وبأوفر سرعة فى جسد مماثل لهم ، وبالأفعال الالهية التى تتم به ، اذ يحكمون بالمقارنة أن هذه الأعمال التى يعملها ليست أعمالا بشرية ، بل هى أعمال الله .

٦ ــ ولو كانت سخافة ، كما يدعون ، أن يعرف «الكلمة» بأعمال الجسد ، لكان سخافة أيضا أن يعرف بأعمال الكون ، لأنه موجود فى الخليقة ومع ذلك لا يشترك فى طبيعتها بأى حال من الأحوال ، بل بالحرى أن كل الأشياء تشترك فى سلطانه ، كذلك عندما اتخذ الجسد أداة له لم يشترك فى خواصه الجسدية ، بل هو بالعكس قدس الجسد .

٧ ــ وحتى «أفلاطون» ــ الذائع الصيت بين اليونانيين بهذا المقدار ــ يقول ان منشىء الكون اذ رآه مضطربا كاضطراب السفينة وسط البحر ، وفى خطر أن يغرق فى الهاوية السحيقة ، جلس على دفة النفس ، وأتى لينجيها من كل مصائبها . فأى شىء لا يصدق فيما نقول ان البشرية اذ أخطأت استقر عليها[1] « الكلمة » ، وظهر كانسان حتى يخلصها ــ بارشاده[2] ــ وصلاحه ــ من العواصف والاضطرابات .

---

(١) أو « جلس عليها » أو « جلس على دفتها » حسب الترجمة الحرفية .

(٢) « بتدبيره » كبعض الترجمات .

## الفصل الرابع والأربعون

وان كان الله قد خلق الانسان بكلمة فلماذا لا برده بكلمة . ولكن (١) الخلقة من العدم تختلف عن اصلاح ما هو موجود فعلا (٢) والانسان كان موجودا وله حاجة معينة ويتطلب علاجا معينا . ولقد تأصل الموت فى طبيعة الانسان . فكان لابد لله أن يقرب الحياة للطبيعة البشرية بل يمزجها بها . لذلك تجسد الكلمة لكى يلتقى بالموت ويقهره فى دائرته المغتصبة . تشبيه بالقش والاسبستوس .

١ – ولعلهم – اذ يخجلون عن الموافقة على هذا – يفضلون أن يقولوا ان كان الله قد أراد أن يصلح البشرية ويخلصها ، وجب أن يتمم ذلك بمجرد نطق ملكى كريم ، دون حاجة الى تجسد « الكلمة » . أى بنفس الطريقة التى اتبعها سابقا عندما أوجدها من العدم .

٢ – أما عن اعتراضهم هذا فنجيبهم جوابا معقولا قائلين : سابقا لم يكن شيء موجودا على الاطلاق ، فالذى كان مطلوبا لخلقة كل شيء هو النطق الملكى ، ثم مجرد الارادة لاتمام ذلك . أما وقد خلق الانسان ، وأصبح الأمر يحتاج الى علاج ما هو موجود ووصل الى تلك الحال ، لا ما هو ليس موجودا ، لهذا

السبب ، ولكى يبرىء الموجود ، دعت الضرورة بطبيعة الحال أن يظهر الطبيب ، والمخلص تأنس ، واستخدم جسده أداة بشرية .

٣ ــ وان لم تكن هذه هى الطريقة المثلى فكيف كان ممكنا « للكلمة » ــ وقد اختار أن يستخدم أداة ــ أن يظهر ؟ ومن أين كان ممكنا أن يتخذها سوى من الموجودين فعلا ، الذين هم فى حاجة الى لاهوته بواسطة شخص مشابه لهم ؟ لأن الخلاص لم يكن مطلوبا لما ليس له وجود حتى كان يكفى مجرد صدور أمر ، ولكن الانسان الذى كان موجودا فعلا ، كان منحدرا الى الفساد والهلاك[١] . لهذا كان طبيعيا وعدلا أن يستخدم « الكلمة » أداة بشرية ، ويعلن نفسه فى كل مكان .

٤ ــ ثم يجب أن تعلم أيضا ، أن الفساد الذى حصل لم يكن خارج الجسد بل لصق به ، وكان مطلوبا أن تلتصق به الحياة عوض الفساد ، حتى كما تمكن الموت من الجسد ، تتمكن منه الحياة أيضا .

٥ ــ والآن لو كان الموت خارج الجسد لكان من اللائق أن تتصل به الحياة من الخارج . أما وقد صار الموت ممتزجا

---

(١) لو ان الخلاص قد تم بمجرد صدور أمر لكان هذا دليلا على قدرة الله ، أما التجسد فهو دليل محبته .

بالجسد وسائدا عليه ، كما لو كان متحدا به ، فكان مطلوبا أن تمتزج الحياة أيضا ، حتى اذا ما لبس الجسد الحياة بدل الموت ، نزع عنه الفساد . وفضلا عن هذا فلو افترضنا أن « الكلمة » جاء خارج الجسد وليس فيه ، لكان الموت قد غلب منه ( من المسيح ) وفقا للطبيعة ، اذ ليس للموت سلطان على «الحياة» ، أما الفساد اللاصق بالجسد فكان قد بقى فيه رغم ذلك .

٦ ـ لهذا السبب كان معقولا جـدا أن يلبس المخلص جسدا ، حتى اذا ما اتحد الجسد «بالحياة» ، لا يبقى فى الموت كمائت ، بل يقوم الى عدم الموت اذ يلبس عدم الموت . ومادام قد لبس الفساد ، فما كان ممكنا أن يظهر الموت الا فى الجسد وفقا لطبيعته ، لهذا لبس ( المسيح ) جسدا لكى يلتقى بالموت فى الجسد ويبيده . لأنه كيف كان ممكنا اقامة الدليـل على أن الرب هو « الحياة » ، لو لم يكن قد أحيا ما كان مائتا[١] .

٧ ـ والمعلوم أن القش[٢] تفنيه النـار بطبيعة الحال . فلنفرض ( أولا ) أن انسانا أبعد النـار عن القش . فان القش ولو لم يحترق ، يبقى رغما عن ذلك مجـرد قش يخشى خطر النار ، لأن للنار خاصية احراقه . ( ثانيا ) بينما لو أحاطه بمادة

---

(١) اى قابلا للموت .
(٢) او القصب .

الاسبستوس ـ التى يقال عنها[1] أنها تصمد أمام النار ـ فان القش لا يرهب النار فيما بعد ، اذ قد تحصن باحاطته بمادة غير قابلة للاحتراق .

٨ ـ كذلك أيضا بنفس هذه الطريقة يستطيع المرء أن يقول عن الجسد والموت ، انه لو كان الموت قد أبعد عن الجسد بمجرد اصدار أمر من الله ، لبقى ـ رغم ذلك ـ قابلا للموت والفساد حسب طبيعة الأجساد . ولكن ، لكى لا يكون هذا حال الجسد ، فقد لبس ( الجسد ) كلمة الله الخالى من الجسد ، ولذلك فانه لا يعود يرهب الموت أو الفساد ، لأنه لبس الحياة كثوب ، ولأن الفساد قد أبيد فيه .

---

(١) انظر فصل ٢٨ : ٦ ويظهر انه لم يشهد تلك المادة .

# الفصل الخامس والأربعون

ومرة أخرى نقرر أن كل جزء من الخليقة يعلن مجد الله . فالطبيعة ـ وهى تشهد لخالقها ـ تقدم شهادة ثانية ( بالمعجزات ) للاله المتجسد واذ انحرفت شهادة الطبيعة بسبب خطية الانسان فقد ألزمت للرجوع الى الحق . وان لم تكف هذه البراهين فليتأمل اليونانيون فى الوقائع والحقائق الثابتة .

١ ـ اذن اقتضى الحال أن يأخذ كلمة الله جسدا ، ويستخدم أداة بشرية ، لكى يحيى الجسد أيضا . وكما أنه معروف فى الخليقة بأعماله فيجب أن يعمل فى الانسان أيضا ، ويظهر نفسه فى كل مكان ، لكى لا يترك شيئا من لاهوته ومن معرفته .

٢ ـ وأعود فأكرر ما سبق أن ذكرته ، أن المخلص فعل ذلك ، حتى ، كما يملأ كل الأشياء فى كل الجهات بوجوده ، كذلك أيضا يملأ كل الأشياء من معرفته ، كما يقول الكتاب المقدس أيضا « الأرض كلها امتلأت من معرفة الرب[1] » .

---

(١) « الأرض تمتلئ من معرفة الرب » اشعياء ١١ : ٩ .

٣ ــ لأنه ان تطلع الانســـان فقط الى السماء فانه يرى مدبرها ، أو ان كان لا يستطيع أن يرفع وجهه الى الســـماء بل للانسان[1] فقط ، فانه يرى سلطانه[2] ــ الذى لا وجه لمقارنته بسلطان البشر ظاهرا فى أعماله ، ويدرك أنه وحده بين البشر هو الله « الكلمة » . واذا ضل انســـان بين الشياطين وارتعب منهم ، لاستطاع أن يرى هذا الانسان يطردها ، ولأيقن أنه هو سيدها . واذا غرق انسان فى المياه وتوهم أنها هى الله ، كما كان المصريون القدماء مثلا يعبدون الماء ، لاستطاع أن يرى طبيعتها تتغير بسلطانه ، ويدرك أن الرب هو خالق المياه .

٤ ــ أما اذا أنزل امرؤ حتى الى الهـــاوية[3] ، ووقف خاشعا أمام الأبطال الذين نزلوا اليها ، معتبرا اياهم آلهة ، فانه لا يزال يستطيع أن يرى حقيقة قيامة المسيح وغلبته على الموت ، ويتيقن أن المسيح بينهم أيضا هو وحده اله حق ورب حق .

٥ ــ لأن الرب لمس كل أجزاء الخليقة ، وحررها كلها من كل خداع كما يقول بولس « اذا نزع عن نفسه الرياسات والسلاطين ظفر بهم على الصليب[4] » لكى لا يعود أى انسان ينخدع ، بأى حال من الأحوال ، بل يجد فى كل مكان كلمة الله الحق .

---

(١) أى الله الذى ظهر كانسان (٢) أى سلطان الله
(٣) الجحيم . (٤) « اذ جرد الرياسات والسلاطين واشهرهم جهارا ظافرا بهم فيه ( أى فى الصليب ) » كو ٢ : ١٥ .

٦ ــ وهكذا اذ أغلق على الانسان من كل ناحية[١] ، واذ يبصر لاهوت الكلمة معلنا فى كل مكان ، أى فى السماء ، وفى الهاوية ، وفى الانسان وعلى الأرض ، لا يصير بعد معرضا للخداع والضلال عن الله ، بل يعبد المسيح وحده ، وبه يأتى مباشرة ليعرف الآب •

٧ ــ بهذه البراهين المعقولة لا شك فى أننا نخزى الأمم بدورهم • وأما ان رأوا البراهين لا تكفى لتخجيلهم ، فليصدقوا على أى حال ما تقدمه من وقائع ظاهرة أمام أنظار الجميع •

---

(١) ان التجسد يكمل دائرة شهادة الله نفسه ومسئولية الانسان •

# الفصل السادس والأربعون

منـذ وقت التجسـد افتضـحت العبـادة الوثنية ، واستشارة الأوثان ، والتكهن بالغيب ( العرافة ) ، والأساطير الخـرافية ، والأعمال الشيطانية ، والسحر ، والفلسفة الوثنية وبينما نرى العبادات القديمة محلية جدا ، ومستقلة بعضها عن بعض ، نرى عبـادة المسيح جامعة وعلى نسق واحد .

١ ـ ومتى بدأ البشر يهجرون عبادة الأصنام الا عنـدما حل الله ـ كلمة الله الحقيقى ـ بين البشر ؟ ومتى بطلت استشارة الأوثان بين اليونانيين وفى كل مكان ، وصارت نافلة ، الا عندما أظهر المخلص نفسه على الأرض ؟

٢ ـ ومتى ظهـرت حقيقة من دعاهم الشـعراء آلهـة وأبطالا ، واتضح بأنهم مجرد بشر يفنون ، الا منذ أتم الرب نصرته على الموت ، وحفظ الجسد الذى اتخذه غير فاسـد ، اذ أقامه من الأموات ؟

٣ ـ ومتى احتقرت غواية وجنود الشياطين ، الا عندما تنـازلت ـ من أجل ضـعف البشر ـ قوة الله ، « الكلمة » ،

سيدها كلها ، وظهر على الأرض ، ومتى ابتدأت فنون السحر ومدارسه تداس الا عندما صار الظهور الالهى « الكلمة » بين البشر ؟

٤ ــ وبالاجمال متى صارت حكمة اليونانيين جهالة ، الا عندما استعلنت حكمة الله الحقيقية على الأرض ؟ فقديما ضل العالم بأسره ، كل مكان فيه ، بعبادة الأوثان ، ولم يعتقد البشر الا فى الأوثان كآلهة . أما الآن ففى العالم كله تجد البشر يهجرون خرافة الأوثان ويلجأون للمسيح ، واذ يعبدونه كاله يعرفون به أيضا الآب الذى كانوا يجهلونه .

٥ ــ والأمر المدهش أنه بينما تنوعت المعبودات وتعددت ، وصار لكل مكان وثنه الخاص ، وذاك الذى كان يعتبر الها بينهم لم يكن له سلطان على المكان المتاخم ليقنع الشعوب المجاورة بعبادته ، بل كان بالجهد يعبد بين شعبه ، لأنه لم يعبد أحد قط اله جاره ، بل بالعكس كان كل واحد يتمسك بوثنه ، معتبرا اياه سيد الكل ــ ترى المسيح وحده يعبد بين كل الشعوب الها واحدا متساويا ، وما لم يستطع أن يعمله ضعف الأوثان ، أى اقناع حتى من يعيشون بينها ، فعله المسيح ، اذ اقنع ، ليس من يعيشون بين يديه فقط ، بل كل بلاد العالم ليعبدوا ربا واحدا ، وفيه يعبدون الله أباه .

# الفصل السابع والأربعون

القضاء بعلامة الصليب على العرافات المتعددة والأشباح التى يتوهم ظهورها فى الأماكن المقدسة الخ . البرهان على ان الآلهة القديمة ما هى الا مجرد بشر . افتضاح السحر وبينما لم تستطع الفلسفة الا أن تقنع جماعة محدودة محلية بالخلود والصلاح ، فان بعضا من البشر ذوى الكفاءة المحدودة استطاعوا أن يقنعوا الجماهير العديدة فى كل الكنائس بمبدأ الحياة السامية .

١ ــ وبعد أن امتلأ كل مكان فى القديم بغواية التنجيم والعرافة التى اشتهرت جدا فى دلفى ودونا ، وفى بوتيا وليكيا وليبيا ومصر ، وامتلأ بعبادة الكابيرين[١] ، وغواية آلهة النبوءة[٢] ، قد بطل الآن جنونهم ، ولم يعد أحد منهم ينجم بعد ، وذلك منذ بشر بالمسيح فى كل مكان .

٢ ــ وبعد أن أضلت الشياطين عقول البشر قديما ، اذ احتلت الينابيع والأنهار ، والأشجار والحجارة ، وهكذا أثرت

---

(١) عبادة قديمة كانت تمارس فى كثير من المقادس وبنوع خاص فى ساموثراكى ولمنوس .

(٢) فى الأصل اليونانى « بيتيا » اى ربة النبوة .

على البسطاء بشعوذتها ، بطلت الآن غوايتها بعد الظهور الالهى للكلمة ، لأنه بعلامة الصليب يستطيع حتى الانسان العادى أن يفضح ضلالاتها •

٣ ـ وبعد أن كان البشر سابقا يعتقدون فى زفس(١) وكرونوس(٢) وأبولو(٣) • والأبطال المدونين فى أشعارهم ، أنهم آلهة ، وانخدعوا فى عبادتها ، فانه الآن ـ بعد أن ظهر المخلص بين البشر ـ افتضح أمر أولئك ، وظهر أنهم ليسوا سوى بشر يفنون ، وعرف المسيح وحده بين البشر أنه هو الاله الحقيقى كلمة الله •

٤ ـ وماذا يقول المرء عن السحر الذى انتشر بين البشر ؟ فانه قبل حلول الكلمة بيننا كانت له قوته وتأثيره بين المصريين والكلدانيين والهنود ، وكان يبعث الخوف والرهبة فى كل من شهده • أما بعد حضور « الحق » وظهور « الكلمة » ، فقد دحض كلية وأبطل بالتمام •

٥ ـ أما عن حكمة الأمم ، وادعاءات الفلاسفة الجوفاء ، فلست أظن أن أحدا يحتاج الى براهيننا ، ما دام العجب العجاب

---

(١) زحل .
(٢) « عطارد » فى الأصل اليونانى •
(٣) اله الجمال والرجولة والموسيقى عند اليونانيين قديما.

أمام أعين الجميع • اذ بينما كتب حكمات اليونانيين كثيرا جدا ، وعجزوا حتى عن اقناع نفر قليل من جيرانهم بحقيقة الخـلود وضرورة الحيـاة الفاضلة ، فان المسـيح وحده ، بلغة عادية ، وبأشخاص غير فصيحى اللسان ، أقنع كنائس برمتها ممتلئة من البشر فى كل العـالم ، أن يحتقروا الموت ، ويتأملوا فيما يتعلق بالخلود ، ويتغاضـوا عن الزمنيات ، ويوجهـوا أنظارهم الى الأبديات ، وأن لا يفكروا فى المجد الأرضى ، بل يجاهدوا فقط لأجل المجد السماوى •

## الفصل الثامن والأربعون

حقائق اخرى . عفة العذارى المسيحيات والرهبان والشهداء . قوة الصليب ضد الشياطين والسحر . المسيح اظهر بقوته انه اعظم من البشر ومن الأرواح ، وأعظم من السحرة ، لأن هذه كلها خاضعة له كل الخضوع اذن فهو كلمة الله .

١ ــ على أن هذه البراهين التى قدمناها لا تستند الى مجرد حجج كلامية ، ولكن هناك اختبارات عملية تشهد لصحتها .

٢ ــ فليذهب من أراد ويعاين دليل العفة فى عذراى المسيح ، والشبان الذين يعيشون حياة العفة المقدسة ، أو دليل الثقة فى الخلود فى ذلك العدد الجم من شهدائه .

٣ ــ وليأت من أراد أن يختبر عمليا أقوالنا السابقة . وليستعمل ــ وسط خداع الشياطين وخزعبلات العرافين وأعاجيب السحر ــ علامة الصليب المستهزأ به بينهم ، فيرى كيف تهرب الشياطين بواسطته وتبطل العرافة ، ويباد السحر والتنجيم .

٤ ــ فمن هو المسيح هذا وما أعظمه ، الذى ــ باسمه وبحضوره ــ يطرح كل الأشياء فى الظلام ويبيدها ، والذى يقوى وحده على الكل ، والذى ملأ كل العالم بتعليمه ؟ ليخبرنا اليونانيون الذين يسرون بالاستهزاء ولا يخجلون .

٥ ــ لأنه لو كان انسانا فكيف أتيح لانسان واحد أن يتفوق على قوة كل من ادعوا فى أنفسهم بأنهم آلهة ، وأن يفضحهم بقوته ويظهر بأنهم لا شىء ؟ وان دعوه ساحرا فكيف يمكن أن يباد كل سحر على يد ساحر واحد بدلا من توطيد دعائمه ؟ لأنه لو كان قد قهر سحرة معينين ، أو غلب مجرد ساحر واحد فقط ، لجاز لهم أن يدعوا بأنه فاق الباقين بمجرد الحكمة الفائقة .

٦ ــ أما ان كان صليبه قد حاز الانتصار على كل سحر على وجه الاطلاق ، وعلى اسم السحر نفسه ، فيتضح من ذلك أن المخلص ليس ساحرا ، اذ أن الشياطين نفسها ــ التى يستدعيها باقى السحرة تولى هاربة منه كسيدها .

٧ ــ من هو اذن ؟ فليخبرنا اليونانيون الذين حصروا كل همهم فى الاستهزاء . لعلهم يقولون انه هو أيضا كان شيطانا ومن هنا كانت قوته . ولكن ليقولوا ما شاءوا . فان استهزاءهم

يرتد عليهم ، اذ من الممكن تخجيلهم مرة أخرى ببراهيننا السابقة لأنه كيف يمكن أن يكون شيطانا من يطرد الشياطين ؟

٨ ــ ولو كان قد اكتفى بأن يطرد شياطين معينة ، لجاز القول انه برئيس الشياطين غلب الشياطين الأضعف ، كما قال له اليهود عندما أرادوا اهانته • أما ان كان بمجرد تسمية اسمه قد استؤصل كل جنون الشياطين وطردت بعيدا ، فقد اتضح هنا أيضا أنهم على ضلال مبين ، وأن ربنا ومخلصنا المسيح ليس قوة شيطانية كما يتوهمون •

٩ ــ وان كان المخلص ليس مجرد انسان ، ولا ساحرا ، ولا شيطانا ، ولكنه بلاهوته أباد وطرح فى الظلمات تعاليم الشعراء ، وضلالات الشياطين ، وحكمة الأمم(١) ، فانه يتضح جليا ويجب أن يعترف الجميع ، أن هذا هو ابن الله الحقيقى ، كلمة الآب ، وحكمته وقوته ــ منذ البدء • وهذا هو السبب أيضا فى أن أعماله ليست أعمال انسان ، ولكنها تسمو فوق أعمال الانسان ، وأنها بالحقيقة أعمال الله سواء كان من جهة الوقائع نفسها أم من مقارنتها بأعمال سائر البشر •

---

(١) اليونانيين •

# الفصل التاسع والأربعون

ميلاده ومعجزاته . أنتم تدعون اسكولاب وهرقل وديونيسيوس آلهة بسبب أعمالهم . فقارنوا بين أعمالهم وأعماله ، والعجائب التى تمت عند موته الخ .

١ ــ أى انسان ولد قط واتخذ لنفسه جسدا من عذراء فقط ؟ أو أى انسان شفى أمراضا كتلك التى شفاها رب الكل ؟ أو من ذا الذى رد للانسان ما كان ينقص طبيعته ، وجعل الأعمى منذ ولادته يبصر ؟

٢ ــ لقد اعتبر اسكولاب[1] عندهم الها لأنه مارس الطب واكتشف للأجساد المريضة حشائش لم يخلقها من الأرض ، بل اكتشفها بالعلم المستمد من الطبيعة . وأين هذا مما فعله المخلص الذى بدلا من شفاء الجرح أصلح طبيعة الانسان الأصلية وأعاد الجسد سليما ؟

٣ ــ وهرقل[2] عبده اليونانيون كاله لأنه حارب بشرا

---

(١) اله الطب عند اليونانيين .

(٢) اله القوة والحرب .

مثـــله ، وفتك بوحوش برية بخداعه . وأين هذا مما فعـــله « الكلمة » اذ طرد من الانسان الأمراض والشياطين ، بل الموت نفسه ؟ وديونيسيوس عبدوه لأنه علم الانسان شرب المسكرات ، أما المخلص الحقيقى ورب الكل ، فانه يهزأ به من هؤلاء القوم لأنه علم العفة والاعتدال .

٤ ــ لكن دعنا من كل ذلك . فماذا يقولون عن معجزات لاهوته الأخرى ؟ أى انسان أظلمت الشمس وتزلزلت الأرض عند موته ؟ هوذا الى هذا اليوم يموت البشر ، بل ماتوا أيضا فى القديم ــ فمن منهم حدثت عند موته عجيبة كهذه ؟

٥ ــ أو دعنا من الأعمال التى عملهـــا فى جسده ، ولنذكر تلك التى تمت بعد قيامته : فأى انسان ساد تعليمه فى كل مكان بشكل واحد من أقاصى الأرض الى أقاصـــيها حتى أن عبادته امتدت الى كل صقع ؟

٦ ــ أو ان كان المسيح انسانا ، كما يزعمون ، وليس الله « الكلمة » ، فلماذا لا تمنع آلهتهم عبادته من أن تنتقل الى نفس البلاد التى تحتلها ؟ ولماذا نرى ــ على العكس من ذلك ــ أن « الكلمة » نفسه ، وقد حل هنا ، أوقف بتعليمه عباداتها وفضح ضلالها ؟

# الفصل الخمسون

بموت المسيح افتضح ضعف المغالطين ومنافساتهم . قيامته لا مثيل لها .

١ ــ لقد جاء قبل هذا الانسان ( المسيح ) كثيرون ، ممن صاروا ملوكا وطغاة فى العالم ، ولقد سجلت فى التاريخ أسماء الكثيرين من الحكماء والسحرة بين الكلدانيين والمصريين والهنود فمن منهم استطاع ، لا بعد موته بل حتى فى حياته ، أن ينجح فى أن يملأ الأرض بتعليمه ، ويهذب مثل تلك الجماهير الغفيرة ، وينقلهم من أباطيل الأوثان ، كما فعل مخلصنا ، اذ نقل الى نفسه الكثيرين من عبادة الأوثان ؟

٢ ــ لقد سطر فلاسفة اليونانيين مصنفات كثيرة بحكمة ومهارة • فأين هى النتيجة التى أحرزها بازالة ما فعله صليب المسيح ؟ فثقافتهم التى علموها كانت مقبولة حتى وفاتهم فقط ، ولكن حتى النفوذ الذى كان يبدو أنهم أحرزوه فى حياتهم ، كان خاضعا لمنافساتهم المتبادلة ، اذ كانوا يغارون بعضهم من بعض ، كما كانوا يلقون الخطابات المثيرة بعضهم ضد بعض •

٣ ــ أما « كلمة » الله ، فالعجيب جدا ، أنه مع تعليمه بلغة أبسط ، قد غطى على أفضل السفسطائيين • وبينما نراه

يبطل مدارســهم فقد ملأ كنائســه ، وذلك بجذبه الجميع الى نفسه • والأمر العجيب أنه ، بنزوله الى الموت كانســان ، بدد أصوات الحكماء ، ولاشى تعاليمهم عن الأوثان •

٤ ــ ومن ذا الذى بموته طــرد الشياطين قط ؟ ومن ذا الذى ارتاعت الشياطين من موته كما فعلت عند موت المسيح ؟ لأنه حيث سمى اسم المخلص ، هناك طرد كل شيطان • ومن ذا الذى خلص البشر من شهوات وضعفات الانســان الطبيعية ، حتى صار الفجار عفيفين ، والقتلة لا يحملون السيف فيما بعد ، والذين تملكهم الجبن والخوف قديما تشجعوا ؟

٥ ــ وبالايجاز من ذا الذى أقنع البشر فى البلاد الهمجية ، وجمــاعة الوثنيين فى الأماكن المتنوعة ، ليتخلوا عن جنــونهم ويعملوا للسلام ، غير الايمان بالمسيح وعلامة الصليب ؟ أو من ذا الذى أكد للبشر حقيقة الخلود ، كما فعــل صليب المسيح وقيامة جسده ؟

٦ ــ فرغمــا عن أن اليــونانيين نطقــوا بكل نوع من الأساطير الكاذبة ، الا أنهم لم يســتطيعوا أن يدعوا القيــامة لأوثانهم اذ لم يخطر ببالهم قط أن يتاح للجسد الوجود ثانية بعد الموت • وهنا لا يسع المرء بصفة خاصة الا أن يقبل شهادتهم ، لأنهم بذلك كشفوا عن ضعف عبادتهم الوثنية ، بينما يعترفون بالقدرة للمسيح ، حتى بذلك أيضا يعرف عند الكل كابن الله •

## الفصل الواحد والخمسون

الفضيلة الجديدة عن العفة . تهدئة الثورة الاجتماعية ، وتطهيرها ، بواسطة المسيحية .

١ ــ وأيضا من من البشر علم بعد موته، أو حتى فى حياته، عن حياة البتولية ، وأثبت أن هذه الفضيلة ليست مستحيلة بين البشر ؟ أما المسيح مخلصنا وملك الكل ، فكانت له قوة عظيمة فى تعليمه عنها ، حتى أن الأحداث الذين لم يصلوا بعد سن البلوغ ، كانوا ينذرون أنفسهم ليعيشوا حياة البتولية التى تفوق الناموس الطبيعى .

٢ ــ أى انسان استطاع بأى حال أن يبسط نفوذه الى أبعد مدى ، فيصل الى السكيثيين والأحباش ، أو الى الفرس والأرمن والغوطيين ، أو الى من نسمع عنهم فيما وراء البحار ، أو الذين وراء بلاد أركانيا[1] ، بل الى المصريين والكلدانيين ، هؤلاء الذين يهتمون بالسحر والخرافات التى وراء الطبيعة ، المتوحشين فى طرقهم ــ ثم نادى بالفضيلة وضبط النفس ، وندد بعبادة الأوثان ، كما فعل رب الكل ، قوة الله ، ربنا يسوع المسيح ؟

---

(١) أركانيا اسم قديم لمقاطعة فى آسيا ما بين بلاد الفرس وبحر قزوين ( حدود روسيا ) .

٣ ــ الذى لم يكرز بواســطة تلاميذه فقط ، بل حمل الاقنــاع أيضا الى عقول البشر ليتخلوا عن فظاظة طبــاعهم ، ويكفوا عن عبادة آلهة آبائهم ، بل ليتعلموا أن يعرفوه ، وأن يعبدوا الآب عن طريقه ؟

٤ ــ فاليونانيون والبرابرة اعتادوا قديما ــ اذ كانوا فى عبادتهم الوثنية ــ أن يحاربوا بعضهم بعضا ، وكانوا فعلا قساة على بنى جنسهم ، اذ كان مستحيلا أن يعبر الواحد منهم بحرا أو أرضا ، دون أن يسلح نفسه بالسيوف ، بسبب الحروب التى كانت قائمة بينهم بغير انقطاع .

٥ ــ لأنهم كانوا يقضون كل حياتهم شاهرين السلاح ، وكان لهم السيف عوض العصى ، يعتمدون عليه فى كل الطوارىء مع أنهــم كانوا لا يزالون ، كما قدمت ، يعبــدون الأوثان ، ويقدمون الذبائح للشياطين ، ولم يستطيعوا التخلص من هذه الروح ، رغم كل أباطيل عبادتهم الوثنية .

٦ ــ ولكنهم عندما انتقلوا الى تعاليم المسيح ــ كان من الغريب جدا أن ينخسوا فى ضمائرهم حقا ، ويتخلوا عن وحشية القتل ، ولم يعودوا يفكرون فى الحرب ، بل صاروا فى ســلام تام ، وأصبح أحب شىء اليهم منذ ذلك الوقت ، كل ما يؤول الى المودة والوئام .

# الفصل الثانى والخمسون

الحرب الخ .. التى حركتها الشياطين المسيحية .

١ ــ اذن من ذا الذى فعل هذا ، ومن ذا الذى وحد المتغاضبين ، وجعلهم فى سلام تام ، الا ابن الآب المحبوب ، مخلص الكل ، يسوع المسيح ، الذى بمحبته احتمل كل شيء لأجل خلاصنا ؟ لأنه منذ القديم تنبىء عن السلام الذى كان مزمعا أن يأتى به ، حيث يقول الكتاب « فيطبعون سيوفهم سككا(١) وحرابهم(٢) مناجل ، لا تشهر(٣) أمة على أمة سيفا ، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد(٤) » .

٢ ــ وهذا على الأقل أمر لا يقبل أى شك ، فانك حتى الآن تجد هؤلاء البربر ، ذوى الأخلاق الوحشية بفطرتهم ، عندما يكونون لا يزالون قائمين بتقديم الذبائح لأصنام بلادهم ، يقومون ضد بعضهم البعض بحالة جنونية ، ولا يحتملون البقاء ساعة واحدة بدون سلاح .

---

(١) المقصود بها أسلحة المحراث .　　(٢) رماحهم .
(٣) ترفع　　(٤) أشعياء ٢ : ٤ .

٣ ـ ولكن عندما يسمعون تعليم المسيح ، فانهم فى الحال يلتفتون الى الفلاحة عوض الحروب ، وبدلا من تسليح أيديهم بالأسلحة ، فانهم يرفعونها فى الصلاة • وبالاجمال ، فانهم بدلا من أن يحاربوا بعضهم بعضا ، يتسلحون ضد الشيطان والأرواح الشريرة ، ويخضعونها بكبح جماح النفس وبفضيلة الروح •

٤ ـ وهذا بلا شك دليل على لاهوتية المخلص ، لأن ما عجز البشر عن أن يتعلموه من الأوثان ، قد تعلموه منه ، كما انه افتضاح شديد لضعف الشياطين والأوثان ، ودليل على أنها لا شيء ، لأن الشياطين اذ عرفت ضعفها حرضت البشر قديما على أن يحارب بعضهم بعضا ، لئلا يلتفتوا الى محاربة الشياطين أن كفوا عن محاربة أنفسهم •

٥ ـ أما الذين يتتلمذون للمسيح ، فانهم لا يحاربون بعضهم بعضا ، بل يتجندون ضد الشياطين بأخلاقهم الفاضلة ، وأعمالهم المجيدة ، فيهزمونها ويهزأون بالشيطان رئيسها • لهذا تجدهم فى شبابهم يكبحون جماح أنفسهم ، وفى التجارب يحتملون ، وفى الأتعاب يثابرون ، وان شتموا يصبرون ، وان صلبوا يستخفون بالأمر • والمدهش نهم يحتقرون حتى الموت ، وفى سبيل المسيح يستشهدون •

# الفصل الثالث والخمسون

قد هبطت الى أسفل السافلين كل عملية العبادة الوثنية بضربة واحدة من المسيح ، اذ تحدث سرا الى ضمير الانسان .

١ ــ ولنذكر برهانا واحدا ــ عجيبا جدا ــ على لاهوتية المخلص فنقول : هل استطاع مجرد انسان ، أو ساحر ، أو طاغية ، أو ملك ، أن ينازل بنفسه كل هؤلاء ، ويحارب ضد كل عبادة وثنية ، وكل جنود الشياطين ، وكل سحر ، وكل حكمة اليونانيين اذ كانت فى شدة القوة والازدهار ، باسطة نفوذها على الجميع ، واستطاع أن يوقفها كلها عند حدها بضربة واحدة ، كربنا كلمة الله الحقيقى ، الذى ، اذ يفضح خطأ كل انسان بشكل غير منظور ، يختطف بنفسه كل البشر منها كلها ، حتى أصبحوا الآن يدوسون الأوثان ، بعد أن كانوا يعبدونها ، والذين اشتهروا بسحرهم يحرقون كتبهم ، والحكماء يفضلون تفسير الأناجيل على كل دراسة ؟

٢ ــ وتلك التى اعتادوا عبادتها صاروا الآن يهجرونها ، وذاك الذى اعتادوا أن يهزأوا به كمصلوب ، صاروا الآن يعبدونه مسيحا ، معترفين به الها . وتلك التى كانت آلهة بينهم

صارت تغلب بعلامة الصليب . والمخلص المصلوب صار ينادى به فى كل العالم الها وابن الله . والآلهة التى كان يعبدها اليونانيون قد أتتن صيتها بينهم على مرأى أو مسمع منهم ، ككائنات شائنة . أما الذين يقبلون تعليم المسيح فانهم يعيشون حياة أكثر عفة منهم .

٣ ــ فان كانت هذه وأمثالها أعمالا بشرية ، فليبين لنا ــ من أراد ــ أعمالا مماثلة صنعها البشر فى سالف الزمن ، وبذلك يقنعنا . أما اذا ثبت أنها ليست أعمال البشر بل أعمال الله ــ وهى كذلك فعلا ــ فلماذا يضل غير المؤمنين ، ولايدركون السيد الذى عملها ؟

٤ ــ لأن مثلهم مثل انسان عجز عن أن يعرف ــ من أعمال الخليقة ــ الله خالقها . لأنهم لو عرفوا لاهوته من سلطانه على الكون ، لأدركوا أن أعمال المسيح التى عملها فى الجسد ، ليست بشرية ، بل هى أعمال مخلص الكل ، كلمة الله . ولو عرفوا « لما صلبوا رب المجد » أيضا ، كما قال بولس(١) .

---

(١) ١ كورنثوس ٢ : ٨ .

# الفصل الرابع والخمسون

« الكلمة » المتجسد يعرف لنا بأعماله كما هى الحال مع الله غير المنظور ، وبأعماله ندرك رسالته التى يريدنا بها أن نكون آلهة . ولنكتف بذكر القليل منها ، تاركين كثرتها المبهرة للأبصار ، لمن يريد أن يبصر .

١ — وكما أنه ان أراد امرؤ أن يرى الله ، غير المنظور بالطبيعة ، الذى لا يرى قط ، فيمكنه أن يعرفه ويدركه من أعماله ، كذلك يجب على من يعجز عن رؤية المسيح بعقله وفهمه ، أن يدركه على الأقل من أعمال جسده ، ويفحص ان كانت أعمالا بشرية أم أعمال الله .

٢ — فان كانت بشرية جاز له الاستهزاء ، أما ان لم تكن بشرية ، بل أعمال الله ، فليعرف ذلك ، ولا يستهزىء بما لا يستحق الاستهزاء ، بل بالحرى ليدهش لأنه بوسائل عادية كهذه أعلنت لنا الالهيات ، ولأنه بالموت وصل عدم الموت الى الجميع ، ولأنه بتأنس الكلمة عرفت العناية العامة ، كما عرف واهبها وبارئها ، كلمة الله نفسه .

٣ ــ لأنه ( تأنس ) صار انسانا لكى نصير نحن الها[1] ، وأظهر نفسه فى جسد ، لكى يعطينا فكرة عن الآب غير المنظور ، واحتمل من البشر الاهانة لكى نرث نحن عدم الموت • لأنه اذ لم يمسسه أى ضرر ، اذ هو غير قابل للألم أو الفساد ، وهو ذات « الكلمة » وهو الله ، فان البشر الذين كانوا يتألمون والذين لأجلهم احتمل كل ذلك ، قد خلصهم وحفظهم مثله فى حالة عدم التألم •

٤ ــ وبالاجمال ان أعمال المخلص ، التى نشأت من تأنسه ، جليلة جدا فى نوعها ، وعظيمة المقدار فى عددها ، حتى أنه ان أراد أحد احصاءها ، لصار مثله مثل الذين يحدقون فى سعة البحر ويحاولون احصاء أمواجه • لأنه كما أن المرء لا يستطيع أن يحد كل الأمواج ببصره ، اذ الأمواج القادمة تبلبل ذهن كل من يحاول ذلك ، هكذا من يحاول أن يحيط بكل أعمال المسيح فى الجسد ، لأنه من المستحيل أن يدركها كلها حتى باحصائها ، اذ أنها تفوق ذهنه أكثر من تلك التى يظن أنه قد استوعبها •

---

(١) وردت بصيغة المفرد فى معظم النسخ وبصيغة الجمع فى نسخ قليلة ا انظر ٢ بطرس ١ : ٤ ، عبرانيين ٢ : ٩ ، مزمور ٨٢ : ٦

٥ ـ اذن فالأفضل أن لا تفكر فى التحــدث عنها كلهــا بما دام المرء يعجز عن أن يوفى جزءا بسيطا منها . على أننى أكتفى بذكر عمل واحد آخــر من أعماله ، تاركا لك التأمل فى الباقى والتعجب منه ، لأنهــا كلها عجيبة على الســواء ، وأينما وجه الانسان بصره اليها استطاع أن ينظر الى لاهوت « الكلمة » ، وتملك عليه الذهول الشديد .

# الفصل الخامس والخمسون

ملخص لما سبق . ابطال العرافة الوثنية الخ ... وانتشار الايمان . لقد جاء الملك الحقيقي وأسكت كل المغتصبين .

١ ـ اذن يحق لك أن تتحقق مما قلناه الى الآن ، وتتعجب جدا من خلاصة ما سبق أن قررناه ـ وهو ، أنه منذ مجيء المخلص الينا ، لم يبطل نمو العبادة الوثنية فحسب ، بل ان ما كان موجودا منها فعلا بدأ يتناقص ، وبالتالى يتلاشى تدريجيا ، ولم يبطل تقدم الحكمة اليونانية فحسب ، بل ان ما كان موجودا منها الآن يذبل . والشياطين لم تعد بعد قادرة على خداع أحد بالتخيلات والنبوات والسحر ، وان تجاسرت وحاولت ذلك أخجلت بعلامة الصليب .

٢ ـ ولتلخيص الموضوع نقول : أنظر كيف أن تعليم المخلص يزداد انتشارا فى كل مكان ، بينما كل عبادة وثنية ، وكل ما يناقض ايمان المسيح ، يتضاءل كل يوم ، ويضعف ، ويتلاشى . وأنت اذ تنظر ذلك ، أعبد المخلص الذى هو فوق الكل ، المقتدر أى الله « الكلمة » ، واشجب تلك التى غلبها وأبادها .

٣ ـ لأنه كما أن الشمس ان أشرقت لا تستمر الظلمة بعد ، وان بقى منها شيء فى أى مكان تتبدد ، هكذا الآن اذ حل الظهور الالهى لكلمة الله ، فان ظلمة العبادة الوثنية لا تستمر بعد ، وصارت كل أرجاء العالم فى كل جهة تستنير بتعليمه .

٤ ـ وكما أنه ان كان ملك يحكم على مملكة ما دون أن يظهر لشعبه بل يلازم بيته ، فان الأشخاص المشاغبين كثيرا ما ينتهزون فرصة عزلته ، ويعلنون عن أنفسهم ، ويظاهر كل منهم بصفات الملك ، محاولا التأثير على البسطاء واقناعهم بأنه ملك ، وهكذا ينخدع الناس باسمه ، لأنهم ان كانوا يسمعون أن هنا لك ملكا ، فانهم لا يرونه لعدم استطاعتهم الدخول الى بيته أو لأى سبب آخر . ولكن عندما يخرج الملك الحقيقى ويظهر ، فحينئذ يفتضح أمر أولئك المشاغبين بظهوره ، واذ يرى الناس الملك الحقيقى ، يهجرون أولئك الذين سبق أن أضلوهم .

٥ ـ هكذا الحال أيضا ، فان الأرواح الشريرة اعتادت سابقا أن تضل البشر ، منتحلة لنفسها كرامة الله . ولكن عندما ظهر كلمة الله فى الجسد ، وعرفنا بأبيه ، حينئذ بطلت وتبددت غواية الأرواح الشريرة أخيرا ، واذ بدأ البشر يحولون أنظارهم الى الاله الحقيقى ، كلمة الآب ، صاروا يهجرون الأصنام ، وبدأوا الآن يعرفون الاله الحقيقى .

٦ ــ والآن هذا برهان على أن المسيح هو الله «الكلمة»، وقوة الله . لأنه ان كانت الأمور البشرية تبطل وكلمة المسيح تثبت ،فواضح لكل الأنظار أن ما يبطل وقتى ، أما من يثبت فهو الله وابن الله الحقيقى ، كلمته الوحيد .

# الفصل السادس والخمسون

اذن فتش الكتب ان استطعت . وبذلك تتمم
هذا البحث . تعلم أن تترقب مجيئه الثانى
ويوم الدينونة .

١ ــ اذن لتكن رسالتنا هذه هى تقدمتنا اليك أيها الانسان محب المسيح ، كبيان أولى موجز عن الايمان بالمسيح ، وعن ظهوره الالهى لنا ، ولكنك ، اذ تنتهز فرصة هذه الرسالة ، وتقف على نص الكتب المقدسة ، بالتعمق بفكرك فيها باخلاص ، فانك تتعلم منها ، بأكثر استيفاء ووضوح ، التفاصيل الكاملة لما قلناه .

٢ ــ لأن الله نطق بها ودونها على أيدى أناس مسوقين من الله . ونحن بدورنا نبلغك ما تعلمناه من المعلمين الملهمين الذين كانوا يعيشون معهم ، والذين استشهدوا أيضا من أجل لاهوت المسيح ، وذلك لكى تزداد غيرة فى الدرس والاطلاع بدورك أنت أيضا .

٣ ــ ولكى تتعلم أنت أيضا عن ظهوره الثانى الالهى الحقيقى المجيد لنا ، حيث لا يظهر بعد فى اتضاع بل فى مجده ،

ولا يظهر بعد متخفيا متواضعا بل فى عظمته . وهو سيأتى ، لا لكى يتألم ثانية ، بل ليقدم للجميع ثمار صليبه ، اى القيامه وعدم الفساد ، ولا لكى يحكم عليه بعد ، بل لكى يحكم على الجميع حسبما صنع كل واحد فى الجسد ، خيرا كان أو شرا ، حيث أعد للصالحين ملكوت السموات ، أما للذين عملوا السيئات فالنار الأبدية والظلمة الخارجية .

٤ ــ لأنه هكذا يقول الرب نفسه أيضا « من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء فى مجد الآب[١] » .

٥ ــ ولهذا السبب عينه نجد أيضا كلمة للمخلص تعدنا لذلك اليوم اذ يقول « كونوا مستعدين واسهروا لأنه يأتى فى ساعة لا تعلمونها[٢] » وكما قال المغبوط «بولس» « لابد اننا جميعا نقف[٣] أمام كرسى المسيح لينال كل واحد بحسب ما صنع فى الجسد[٤] خيرا كان أم شرا[٥] » .

---

(١) « فى مجد الآب » زيدت متى ٢٦ : ٦٤ (٢) اسهروا اذا لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم » متى ٢٤ : ٤٢ ومرقس ١٣ : ٣٥ (٣) « نظهر » (٤) « لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع » (٥) ١ كورنثوس ٥ : ١٠ .

## الفصل السابع والخمسون

وفوق كل شيء عش الحياة التى تؤهلك للأكل من هذه الشجرة ، شجرة المعرفة والحياة ، وهكذا تاتى الى الأفراح الأبدية ، تسبحة شكر .

١ ـ على أن تفتيش الكتب ، ومعرفتها المعرفة الحقيقية ، يتطلبان حياة فاضلة ، ونفسا طاهرة ، والفضيلة التى بالمسيح . حتى اذا ما استرشد بها العقل ، وأنار بها طريقه ، استطاع أن يصل الى ما يصبو اليه ، ويدركه حسبما تستطيع الطبيعة البشرية أن تتعلمه عن كلمة الله .

٢ ـ لأنه بدون الذهن النقى . ومماثلة سيرة القديسين ، لا يستطيع الانسان أن يدرك أقوال القديسين .

٣ ـ اذا كما أنه ان أراد أحد أن يبصر نور الشمس ، فان عليه أن يمسح عينيه ، ويجليهما ، مطهرا نفسه على مثال ما يبتغيه ، حتى اذا ما استنارت العين استطاعت أن تبصر نور الشمس ، أو كما أنه ان أراد أحد أن يرى مدينة أو قرية ، وجب عليه أن يأتى اليها لكى يراها ، هكذا أيضا يجب على من

يريد أن يدرك فكر الذين يتكلمون عن الله ، أن يبدأ بغسل وتنظيف نفسه ، بتغيير مجرى حياته ، ويقترب الى القديسين أنفسهم بالاقتداء بأعمالهم ، حتى اذا ما اشترك معهم فى السلوك فى الحياة المشتركة ، استطاع أن يفهم هو أيضا ما أعلنه الله لهم ، ومن ثم — اذ يكون قد ارتبط بهم ارتباطا وثيقا — ينجو من خطر الخطاة ونارهم فى يوم الدينونة ، وينال ما أعد للقديسين فى ملكوت السموات « ما لم تر عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال انسان[1] » ما أعد للذين يعيشون حياة فاضلة ، ويحبون الله الآب فى المسيح يسوع ربنا ، الذى به ومعه يليق للآب نفسه ، مع الابن نفسه ، فى الروح القدس ، الكرامة والقوة والمجد الى أبد الآبدين ، آمين .

---

(١) ١ كورنثوس ٢ : ٩ .

دار الجيل للطباعة
جمهورية مصر العربية
٨ قصر اللؤلؤة - الفجالة
تليفون : ٩٠٥٢٩٦